بابلو نيرودا

مائة سوناتة حب

ترجمة: طاهر رياض

تقديم: إلياس خوري

مكتبة
t.me/soramnqraa

مائة سوناتة حب
مكتبة
t.me/soramnqraa

مائة سونانة حب

تأليف: بابلو نيرودا

ترجمة: طاهر رياض

تقديم: الياس خوري

الناشر : دار كنعان
للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية

جميع الحقوق محفوظة

دمشق – ص.ب 443 هاتف: 2134433 (11 - 963 +)

فاكس: 3314455 – 2134433 (11 - 963 +)

E-mail: said.b@scs-net.org

الطبعة الأولى: 2007 / عدد النسخ 1000

إخراج: لبنى حمد

يمكن الاطلاع على كتب الدار ومنشوراتها
على صفحة الشبكة التالية:
http://www.furat.com

بابلو نيرودا

مكتبة
t.me/soramnqraa

مائة سوناتة حب

جسدان مقهوران بعسل واحد

ترجمة

طاهر رياض

تقديم

الياس خوري

إلى ماتيلدا أروتيا

زوجتي الحبيبة، لكم عانيت في كتابة هذه القصائد المسماة خطأ «سونيتات»، لكم آلمتني وملأتني بالأسى، غير أن السعادة التي أحسها في تقديمها إليك هي باتساع غابات السافانا.

حين ألزمت نفسي بهذه المهمة، كنت على تمام الدراية أن شعراء العصور كافة، هيأوا للسونيتة، بأوجهها الصحيحة، وبنكهتها الأنيقة المميزة، قوافي تترجّع كما لو من فضة كانت، أو كريستال، أو نيران مدفعية.

لكنني -بتواضع كبير- صنعت هذه السونيتات من الخشب، ومنحتها وقع الجوهر النقي الأكمد، وعلى هذا النحو ينبغي أن تصل مسامعك.

فيما كنا نتمشى في الغابات، أو على الشواطئ، أو على حواف بحيرات متوارية، وعبر أمداء مشوشة بالرماد، التقطنا، أنت وأنا، قطعاً من لحاء شجر صرف، قطعاً من الخشب لطالما تعرضت لتقلبات الماء والطقس. من بقايا التذكارات المشذبة هذه، أنشأت، فيما بعد، بفأس ومنجل وسكين جيب، أكوام خشب الحب هذه، وبألواح أربعة عشر لكل واحدة شيدت بيوتاً صغيرة، كيما يتسنى لعينيك المدلّه بهما، واللتين أغني لهما، أن تقيما فيها.

الآن وقد أعلنت مؤسسات حبي، أسلّمك هذا القرن، سونيتات خشبية تنبعث فحسب لأنك من منحها الحياة.

بابلو نيرودا

جسدان مقهوران بعسل واحد

الياس خوري

«ما هو الشعر إن لم يساعد على الأحلام؟» كتب بابلو نيرودا. ولكن حين قرأت «مئة سوناتة حب» بترجمة طاهر رباض، اكتشفت أن كلمة يساعد لا تفي بالغرض، ويجب استبدالها بكلمة أخرى. الشعر لا يساعد على الأحلام، بل يصير جزءاً منها لأنه يوقظها. ووجدت نفسي أمام دهشة الكلمات بالكلمات التي تلتقط لحظة الانفعال القصوى.

نيرودا الذي ظلمه المترجمون والنقاد العرب، حين وضع في سياق سياسي مقفل، ثم أخرجته الحرب الباردة الثقافية من المتن الشعري الحداثوي، يبدو في قصائد الحب هذه، وكأنه وصل إلى ذروة الشعر، أي اللحظة التي يمتزج فيها الشعر بالحياة، فتصير القصيدة رغبة وليست ذاكرة رغبة، ويصير النص حقلاً من النار يخطف قارئه إلى الحلم الذي يصنعه الحب.

في الحب يصير العاشق شاعراً والمعشوق قصيدة، لذا، ربما، لم يكتب العشاق عن حبهم إلا كذكرى، أي بعد انطفائه، أو كرغبة، أي قبل تحققه و/ أو بسبب استحالته. لذا بقي مجمل أدب الحب في كل العصور على تخوم الحب. انه ذاكرة حلم مفقود، أو حلم برغبة مستحيلة.

طفت قصص العاشقين على العشق نفسه. من وضاح اليمن إلى روميو وجولييت، ومن المجنون إلى جميل، ومن عطيل إلى ديك الجن، لا حب غير حكاية حب تحطّم أو مُنع أو أودى بصاحبه إلى الموت.

قد يكون السبب في ذلك هو عصيان الحب على الكتابة، الحب والكيابة مصنوعان من الحبر نفسه، الذي أسمه الرغبة. حبر الكتابة يمحو حبر الحب أو يقذفه إلى الماضي، لأن الحب مثل الانفعالات الكبرى، شكل لكتابة لا تجد كلماتها، لذا، ربما، لجأ الحب إلى الموسيقى، واستبدل الشعر بالأغنية، أو بقي في الذاكرة بوصفه ذاكرة.

نيرودا في «مئة سوناتة حب» يكتب الحب في الحاضر، يلتقطه في الرغبة، ويضع حقلاً من الكلمات والرؤى والتشابيه، تحاول أن تكون جزءاً من الوهج لحظة بزوغه، ومن الرغبة وهي تتجدد.

«آه، الحب ارتحال في الماء والنجوم
في الهواء الغريق وعواصف الطحين
الحب صليل بروق
جسدان مقهوران بعسل واحد»

التشابيه التي تمزج الماء بالنجوم، وتغرق الهواء في عواصف الطحين، تقود العاشقين إلى القهر الدائم المصنوع من العسل. قهر لحظة الاكتمال، وفراغ لحظة الامتلاء، وشوق لحظة اللقاء. هذا هو الحب الذي يمزج المتناقضات، ويجعل الجسد مقهوراً بعسل الجسد.

«أجوع إلى الشحوب الحجري لأظافرك
أودّ لو آكل جلدك مثل لوزة ناضجة».

جوع العاشق لا يوازيه غير عطش المعشوق. والاثنان يتبادلان الأدوار، ويجوعان ويعطشان في أبدية بلا رحمة.

«أحبك من دون أن أدري كيف، أو متى، أو من أين.
أحبك هكذا مباشرة بلا تعقيدات أو كبرياء»

أو:

«أحبك كما تُحَب سراً تلك الأشياء الغامضة
الممتدة بين الظلال والروح».

بين الظلال والروح يقع الحب، ويقع العاشق. انه في الحقيقة الواضحة التي يؤسطرها الغموض، فيجعل العواطف تتضارب وتتداخل، مثل أشياء الطبيعة، ويدخل الحالة في التباساتها اللامتناهية.

العاشق يرى جمال الحبيبة، لكنه يرى قبحها أيضاً، انه تائه في عالم الظلال، يقترب من الجمال ويسميه قبحاً يحاول أن يدخل إليه ويمتزج معه، وعندما يجد نفسه عاجزاً يمزج الأشياء، ويرتجف في داخلها مثل عصفور مبلل بالماء.

«قبيحة، أين تخفين نهديك
هزيلان هما مثل ملعقتي قمح صغيرتين

جميلة، زهرةً زهرةً، نجمةً نجمةً، موجةً موجةً،
هكذا، يا حبيبتي، أفصل مفاتن جسدك»

الحبيبة في الرؤية والمتخيل «ترفعين كأس النبيذ»، ثم تدخل في معارج الألوان، إنها زرقاء مثل ليلة في كوبا، وصفراء مثل ليل في كنيسة، ووردية كما يولد النهار، وهي «عارية وصغيرة كبعض أظافرها».

أقرأ وأحاول أن أحلل وأربط التشابيه بالاستعارات، فأكتشف أن هذا الشعر عصيّ على التحليل، وأنني أشبه «ساعي البريد» في فيلم مايكل ردفورد الرائع، الذي روى حكاية عن نيرودا في جزيرة إيطالية، وعن لقائه بابن صياد، تتحول حياته لحظة ارتطامه بالشعر، فيصير ساعي البريد شاعراً، ويموت قبل أن يلقي قصيدته الأولى.

حين شاهدت فيلم ردفورد (إنتاج 1995) فهمت إحدى علامات علاقة الشعر بالحياة. فالشعر لا يصف الحياة بل يغيرها، والحكاية لا تروي ماذا جرى إلا لكي تروي ماذا سيجري. أما حين قرأت قصائد الحب النيرودية من جديد، فلقد اقتربت من تجربة أدبية لا تحاكي الطبيعة أو الحاضر بل تصيرهما، لا تتذكر بل تحلم، ولا تبتعد عن التجربة كي تكتبها، بل تكونها.

الجسد يمتد في الأحرف والكلمات، فالكلمات صارت كائنات حية، وصار العشق امتزاجاً للعقل بالحلم. حين يقبل العاشق أن يحترق بنار التجربة، ويواصل توغله فيها، تطلع الكلمات جديدة وكأنها حقل يشتعل بالقمح.

قرأت شعراً مترجماً، وسمعت الموسيقى التي تخرج من علاقة الجسد بالكلمة، وارتحلت مع الشاعر التشيلي العظيم إلى حيث اكتشفت كيف تتدور الكتابة وتتكسر، وكيف يصير الحب هو النوم أيضاً:

«ما أطيب أن أحسك في الليل يا حبيبتي

محجوبة بنومك، ليلية،

بينما أنهمك بفك ارتباكاتي

مثل شِباك متداخلة».

لا أعلم لماذا لم يحتجب العاشق بالنوم ويتداخل مع لبل محبوبته، هل لأن الحب في الظلال التي يصنعها النوم هو الانزلاق الأخير؟ أم أن تداخل منام العاشق بمنامات المعشوق تجعل الكتابة عاجزة، وتعيد الحب إلى أوله، حيث لا يستطيع الجسد أو الكلمات حمله، فيحمل نفسه بنفسه ويأخذ العشاق إليه؟

الصباح

1

ماتيلده، إسمُ نبتةٍ، أو صخرةٍ، أو نبيذ،
إسمُ أشياءَ تبدأ في الأرض، ولا تنتهي،
كلمةُ ذاك الذي لِنُمُوِّهِ تَفتّحَ أولُ فجرٍ،
وفي صيفِهِ انفجرَ ضوءُ الليمونات.

سفنٌ خشبيةٌ تَمخرُ عُبابَ ذلك الاسم،
مطوّقةٌ بأمواجٍ تشتعلُ بالزرقة،
حروفُ اسمك مياهُ نهرٍ
تصبُّ في ثنايا قلبي اليابس.

أيها الاسم المضطجعُ بلا غطاءٍ وسطَ الكرومِ المتعاشقة،
مثلَ بابٍ يُفضي إلى نفقٍ سِرّي
يُفضي إلى عَبقِ العالمِ كلّه!

إجتاحيني بفمك اللاذعِ، استجوبيني
بعينيكِ الليليتين – إن شئتِ– لكن دعيني فقط
أبحرُ مثل سفينةٍ عبر اسمك، دعيني أرسُ هناك.

2

ما أطولَ الدربَ، يا حبيبتي، لبلوغ قبلةٍ،
وما أشدَّ نُزوعَ الوحدةِ، إلى وصالك!
دوّارين في القطاراتِ نتبع سُبُلَنا وحيدين.
لا فجر فيَ طالطالةَ ولا ربيع.

لكننا، يا حبيبتي، أنتِ وأنا، معاً
بدءاً من ثيابنا نزولاً حتى جذورنا،
معاً في الخريف، في المياه، في الأوراك،
إلى أن يتسنّى لنا البقاءُ وحيدين – أنتِ فقط، أنا فقط.

مُتفكراً في الجهد الذي يبذله التيارُ جارفاً
حصىً كثيراً، ليصبَّ في مياهِ دلتا بوروَا؛
متفكراً في القطاراتِ والأممِ التي تفصلُ بيني وبينك،

ما كان علينا سوى أن يُحبَّ أحدُنا الآخرَ:
بكلّ ذلك الشُّواش ، بالرجال والنساء،
بالأرض التي تُطلعُ أزهارَ القَرَنْفُل، وتجعلها تتفتح!

3

حبي المرير، يا بنفسجةً متوجةً بالشوك
في دغل الأهواءِ الشائكة،
يا رمحَ الأسى، وتُويْجَ الغضب: كيف أتيت
لتقهرَ روحي؟ أيُّ «دربِ آلامٍ» قادتكَ إليّ؟

لم سكبتَ نارك اللطيفة
بهذه السرعة، على أوراق حياتي الباردة؟
من دلّك على الطريق؟ أية زهرة
أي حجرٍ، أي دخان دلّك على مكان سكناي؟

إذ إن الأرض اهتزت – اهتزت حقاً– تلك الليلة الرهيبة؛
وأترع الفجرُ بخمره الأقداحَ كلّها؛
وجهرتْ بنفسها الشمس السماوية؛

أما في الداخل، فقد لفّني حب ضارٍ
واخترقني بأشواكه، بسيفه،
شاقاً في قلبي درباً ذاوياً.

مكتبة
t.me/soramnqraa

4

لسوف تذكرين ذلك الجدولَ المتوائبَ
حيث عَبَقٌ حُلوٌ تصعَّدَ وارتعش،
وفي بعض الأحيان طائرٌ، يرتدي ماءً
وبطئاً، ريشاً لشتائِه.

لسوف تذكرين عطايا الأرض تلك:
روائحُ لا تزول، صلصالٌ ذهبي،
طحالبُ في الدغل وجذورٌ مجنونة
أشواكٌ سحريةٌ مثل سيوف.

لسوف تتذكرين الباقةَ التي التقطتُها،
ظلالٌ وماءٌ صامت،
باقةٌ مثل حجرٍ مُغطى بالزبد.

ذاك زمنٌ كأنه ما كان، وكأنه لم يزل،
وإذ نذهبُ إلى هناك، حيث لاشيء ينتظر
نجد كلَّ شيءٍ في انتظارنا هناك.

5

ما أمسكتُ ليلكِ، أو هواءَك، أو فجرك،
ترابَكِ فحسب، الحقيقةَ الثمريّةَ في قُطوفها،
التفاحاتِ التي تُفاخر أنها تشرب عذبَ الماء،
الصلصالَ والراتنجَ من أرضِكِ حُلوةِ العَبَق.

من كوينكمالي حيث تفتحتْ عيناكِ
إلى فرونتيرا حيث صُنعتْ قدماكِ من أجلي،
أنت صلصالي الداكنُ المألوف:
حين أمسِكُ وركيك، فإنني أمسِكُ بالقمح في حقوله.

يا امرأةً من أراكو، لعلكِ لا تدركين
كيف أني، من قبل أن عرفتُك، نسيتُ قبلاتك.
لكن قلبي مضى مستذكراً فَمَكِ – وأنا مضيت

ومضيت قاطعاً الطرقات كرجل جريح،
حتى أدركتُ، يا حبي، أن مكاني
أجِدُه في أرض القبلات والبراكين.

6

تائهاً في الغابة، اقتطعتُ غصناً قاتماً
وأدنيتُ حَفيفَهُ من شفتيَّ الظامئتين:
ربما كان صوتَ مطرٍ يبكي،
أو جرسٍ مشقّقٍ، أو قلبٍ ممزّق.

ثمة شيء آتٍ من البعيد: بدا لي
عميقاً مُستَسِرّاً، متوارياً بالتراب،
صرخة مكتومة بفصولِ خريفٍ هائلة،
بأوراقٍ نديّةٍ داكنةٍ نِصفِ مفتوحة.

مستيقظاً من غابته الحالمة هناك، عسلوجُ شجرةِ البندق
غنّى تحت لساني، دافقاً أريجَه
ليتصعّد إلى عقلي الواعي

كما لو كانت الجذور التي خلّفتُها ورائي
تَندَهُني، وكذلك الأرضُ التي أضعتُها في طفولتي-
ثم إني توقفتُ، مجروحاً بالعطر الجوّال.

7

«تعالي معي» قلتُ، ولا أحد يعرف
إلى أين، أو كيف انتفض ألمي،
لا قرنفل لي ولا أناشيد بحّارة،
لي فحسب الجرح الذي نكأه الحب.

قلتُها ثانية: «تعالي معي»، كما لو كنت أحتضر،
وما من أحد شهد نزْفَ القمر في فمي،
أو الدم الذي تصعّد في الصمت.
يمكننا الآن، يا حبي، نسيان النجمة الشائكة!

لهذا، حين سمعت صوتك يردد
«تعال معي»، كان كما لو أنك حررت
الحزن والحب، وحنَقَ النبيذ من أسره

مذ فاض في أقبيته، وتصعّد حاراً إلى فمي
و تذوقتُ، مجدداً، طعم اللهب،
طعم الدم والقرنفل، طعم الصخر والاحتراق.

8

لو لم تكن عيناك بلون القمر،
بلونِ نهارٍ مفعمٍ بالصلصال، والعمل، والنار،
لو لم يكن لحركتك تناسقُ الهواء ورشاقتُهُ
لو لم تكوني أسبوعاً من العَنبر،

لم تكوني اللحظةَ الصفراءَ
آنَ يتسلّقُ الخريفُ عرائشَ الكروم؛
لو لم تكوني ذلك الخبزَ الذي عَجنَه القمرُ ذو الأريج،
ناثراً طحينَه عبر السماوات،

آه، أيها الأغلى، لما كنتُ أحببتك كل هذا الحب!
لكنني حينما أحتويك فإنني أحتوي كل شيء-
الرملَ، والزمنَ، وشجرةَ المطر،

كلُّ شيءٍ هو حي لكيما يجعلني حياً،
ومن دون أن أبرحَ أرى الكلّ:
وأرى، في حياتِكِ، كلَّ ما يحيا.

9

هناك حيث تتكسّر الأمواجُ على الصخور القلقة
ينفجرُ الضوءُ مُشكّلاً وردتَه،
وينكمش محيطُ البحر عنقوداً من البراعم،
قطرةً واحدةً من الملح، تسقُطُ.

آه يا زهرة المغنوليا الوضاءةَ المنبعثةَ في الزبد،
أيتها الفتّانة الزائلة التي يجترحها الموتُ
ويُلاشيها - وجوداً وعدماً - أبَدَ الدهر:
مِلحاً مُنتَهَكاً، وتَرَنُّحاً باهراً للبحر.

أنت وأنا معاً، يا حبيبتي، ارتضينا السكوتَ،
فيما يُحطّم البحرُ تماثيلَه السرمديةَ،
ويقضّ أبراجَ اهتياجه وبياضه.

لأننا في تلويحة تلك المناديل اللامرئية،
في خَبَبِ الماءِ، والرملِ المتواصل،
نصنع الرقّةَ الوحيدة الدائمة.

10

عذْبٌ هذا الجمالُ، كما الموسيقى والغابة،
كما العقيق، الشراع، الحنطة، كما الخوخات الملتمعة بالضوء
وقد نَصبت تمثالَها الزائل.
وها هي الآن تنشُر نضارتها، في وجه الأمواج.

البحرُ يداعبُ تينك القدمين السمراوين، مُكرراً
شكلَهما المطبوعَ لتوّه في الرمال.
هي لهبُ الوردة الأنثوي،
الفقاعةُ الوحيدة التي يتنازعها الشمسُ والبحر.

آه، ليت شيئاً لا يمسّك غير ملِح تشيلي!
ليت حتى الحب لا يعكّر صفوَ ربيعك الدائم!
أيتها المرأة الجميلة، يا صدى الزبد اللانهائي.

فليبتكرْ ردفاكِ المثاليان في الماء
مقاييسَ جديدة – بجعةً، سوسنةً، فيما صورتُك
تطوفُ عبر ذلك الكريستال الأبدي.

11

نَحَتُّ فَمَكِ، نحتُّ صوتَك، وشعرك.
صامتاً جائعاً أجوسُ عبر الطرقات.
الخبزُ لا يسدّ جوعي، الفجرُ يمزقني، أقضي نهاري
متتبعاً وقعَ خطاكِ المائية.

أجوعُ إلى ضحكتك الملساء،
إلى يديك اللتين بلون غلالٍ شرسة،
أجوع إلى الشحوب الحجريّ لأظافرِك،
أودّ لو آكُلُ جلدَك مثل لوزةٍ ناضجة.

أود لو آكلُ شعاعَ الشمس المتوهجَ في جسدك البديع،
لو آكُلُ أنفَك الملوكيّ في وجهك المتكبّر،
أود لو آكُلُ الظلَّ المتلاشي على رموشك،

وها أنا ذا أتسكع جائعاً، أتشمّمُ الشفقَ،
مفتشاً عنك، عن قلبك الحارّ،
مثل كوجر في أراضي كويتراتو القاحلة.

12

امرأة مكتملة، تفاحة لاحمة، قمر شهواني،
رائحة عشبٍ بحريّ زَخمة، طين وضوء في حفلة مساخر،
أي وضوحٍ سرّي يتكشّف بين عموديك؟
أي ليلٍ غابرٍ يلمسه المرء بحواسّه؟

آه، الحب ارتحالٌ في الماء والنجوم،
في الهواء الغريق وعواصف الطحين؛
الحبُ صليلُ بروقٍ،
جسدانِ مقهوران بعسلٍ واحد.

قبلةً قبلةً أرتاد أبديتَك الصغيرة،
تخومَك، أنهارَك، قُراك المملمة،
فيما نارُ أعضائِك الحميمة - المتحوّلة، اللذيذة -

تزلقُ عبرَ مسارب الدم الضيقة
إلى أن تنصبَّ، عجلى، مثل قرنفلةٍ ليلية، وتكون:
ولا يبقى شيء، في العتمة، غير ومضةِ ضوء.

13

الألق الذي يصعد من قدميك حتى شعرك،
القوة التي تلفّ قوامك المرهف،
ليسا محارة لؤلؤ، ليسا فضة باردة،
أنت من الخبز كوّنتِ، الخبز الذي تعبده النار.

أكوام الحبوب تعلو في أهرائها،
وفي وقت قريب سيتراكم الدقيق،
وحين ينتفخ العجين، مضاعفاً ثدييك،
سيكون حبي جمراً جاهزاً في الأرض.

آه يا خبز جبينك، ساقيك، فمك،
يا خبزاً ألتهمه مع ولادة نور الفجر،
حبيبتي، أيتها الراية الدالّة على المخابز،

علّمتكِ النارُ درسَ الدم؛
اكتسبتِ قداستك من الطحين،
ومن الخبز أخذت لغتك وشذاك.

14

ليس لديّ وقت كافٍ للاحتفاء بشعرك،
عليّ أن أفصله شعرة شعرة، وأُطّريه شعرة شعرة،
العشاق الآخرون يرغبون بالعيش مع عيني محبوباتهم،
أما أنا فلا أريد سوى أن أكون مزيّن شعرك.

أطلقوا عليك في إيطاليا اسم ميدوزا،
بسبب شعرك الخشن المنتصب.
أنا أسميك جعداء، حبيبتي المنكوشة،
قلبي يعرف كل مداخل شعرك.

حين تضلين الطريق خلال شعرك هذا،
اذكريني، تذكري أنني أحبك.
لا تدعيني أتخبط تائهاً - بدون شعرك-

في ظلمات هذا العالم، في شراك دروبه الخاوية
إلا من ظلالها، وأحزانها الدوّارة،
إلى أن تبزغ الشمس، مضيئة برج شعرك العالي.

15

عرفتْك الأرضُ منذ أزلٍ بعيد،
مكتنزة كما الخبز، كما الخشب،
أنت قوامٌ مُعَنقَدٌ من اللُبابات الصرِفة؛
لك وقار الأكاسيا، وثقل الخضار الذهبية.

أعرف بوجودك، ليس فقط لأن عينيك تحلقان مفتوحتين
وتذرذران ضوءهما على الأشياء، مثل نافذة مشرعة-
ولكن أيضاً لأنك اتخذت هيئة الصلصال، وشُويتِ
في تشيلان، في فرنٍ ذاهل من الطابوق.

الكائنات كالهواء تتبدد، كالماء، كالبرْد.
ملتبسة هي، تُلاشيها أدنى لمسة من الزمن،
كما لو تفتتت غباراً من قبل أن تموت.

ولكننا، أنت وأنا، مثل صخرة سنسقط في القبر:
شكراً لحبنا الذي لن يضيع هباءً أبداً،
فالأرض به ستواصل الحياة.

16

أحبُ قبضة التراب التي هي أنت،
بسبب مروجها الفسيحة كَكوكب
لا نجمة لي سواها. أنت صورة طبق الأصل
عن هذا الكون المتعدد بتجلياته.

عيناك الوسيعتان هما الضوء الوحيد الذي يصلني
من تلك المجرات الخامدة؛
جلدك يَخفق مثل شريط من الشُهب
تخترق المطر الوابل.

وركاك كانا قمري الأكيد،
فمك الغامق بملذاته كان شمسي الأكيدة؛
قلبك، الملتهب بأشعته الحمراء المديدة،

كان نوري المتوهج، توهّجَ العسل في العتمة.
وهكذا رحت أطوف - وأنا أقبلك - نظامَك المشتعل
بدقةِ وإحكامِ كوكبٍ سيّار - يا يمامتي، يا عالمي.

17

أنا لا أحبك كما لو كنتِ وردة ملح، أو حجر توباز،
أو سهماً من القرنفل أطلقتْه النار.
أحبك كما تُحَبُّ سرّاً تلك الأشياء الغامضة
الممتدة بين الظلال والروح.

أحبك كتلك النبتة التي ما أزهرتْ قطّ
ولكنها تحمل في داخلها ضوء أزهارها المحتجبة.
شكراً لما يفوح به حبك من عبقٍ صُلبٍ
يصّاعد من الأرض، ويحيا غامقاً في جسدي.

أحبك من دون أن أدري كيف، أو متى، أو من أين.
أحبك هكذا مباشرة، بلا تعقيدات أو كبرياء؛
وأحبك لأني لا أعرف أسلوباً آخر

غير هذا: حيثما لا يوجد أنا، أو أنت،
كأن يدك التي على صدري هي يدي،
كأن عينيك تغمضان حين أسقطُ في النوم.

18

مثل نسمة تتجولين عبر الجبال،
مثل جدول متدافع يهوي من تحت الثلوج،
شعرك بكثافته يَخفق، كزخارف
مترفةٍ للشمس، ويكررها من أجلي.

على جسدك الذي مثل مزهرية صغيرة
تنهمر أضواء القوقاز كلها، متكسرةً بلا انتهاء،
حيث الماء يبدل ثيابه ويشرع بالغناء
مع كل تموّج في النهر القصيّ.

دربُ المحارب العجوز تتلوى بين التلال، وفي الأسفل
تنتشر الحصون الحربية القديمة: المياه التي تحفظها
بأيديها المعدنية تشعّ بضراوة كالسيوف:

إلى أن تُطلق الغاباتُ، بغتةً، نحوك
أملوداً - برقاً مضيئاً - من حفنة أزهار زرقاء،
السهم الغريب الوحشيّ لعبق أحراجها.

19

فيما يغطيك رَشَاشُ زبد البحر الهائل
والملحُ الأزرق، وموجاتُ الشمس، في ايسلانفرا،
أراقب أنا النحلةَ تزاول عملها
شرهةً في عسل أكوانها.

جيئة وذهاباً، تُوازن طيرانها المتواصلَ الواهن
كما لو كانت تنزلق على سِلك خفيّ،
رقصتها الأنيقة، خصرها الهضيم،
اغتيالات حُمَتِها الضئيلة الخسيسة.

بقوس قزحها الذي من برتقال وبنزين
تتصيد، كما تتصيد طائرةٌ في المراعي؛
بلمحة سنبلة تطير، وتتلاشى؛

فيما تخرجين عارية من البحر
عائدةً إلى العالم، مفعمةً بالملح والشمس:
نُصُباً للانعكاسات كلها، وسيفاً في الرمال.

20

حبيبتي القبيحة، أنت كستناءة شعثاء.
حسنائي، أنت جميلة كالريح.
قبيحة، فمك كبير، يكفي ليكون اثنين.
جميلة، قبلاتك منعشة مثل بطيخة طازجة.

قبيحة، أين ترى تخفين نهديك؟
هزيلان هما، مثل ملعقتي قمح صغيرتين.
لَيَروق لي أكثر أن أرى قمرين على صدرك
أو برجين ضخمين فخورين.

قبيحة، حتى البحر لا يحوي أشياء مثل أظافر قدميك.
جميلة، زهرةً زهرةً، نجمةً نجمةً، موجةً موجةً،
هكذا، يا حبيبتي، أفصّل مفاتن جسدك.

قبيحتي، أحبك من أجل خصرك الذهبي،
جميلتي، أحبك من أجل تغضنات جبينك.
حبيبتي، أحبك من أجل وضوحك، من أجل غموضك.

21

حسبي أن ينشر الحب فيّ حلاوته
كي لا أُمضي لحظة واحدة بعدُ بلا ربيع!
للأحزان ما بعتُ غير يديّ،
يالأغلى، خلّيني الآن وقبلاتك.

بأريجك أوصِدي ضياء الشهر،
وبشعرك غلّقي الأبوابَ كلها.
لكن لا تنسي أبداً، أنني إذ أستيقظ باكياً
فما ذلك إلا لأني، في حلمي، طفلٌ تائه

ينقّب في أوراق الليل عن يديك،
عن ملامساتك التي كالقمح،
عن الغبطة البارقة للظل والطاقة.

يالأغلى، ما ثمة سوى الظلمات هناك
حيث ترافقينني في عبور حلمك:
وأنت من سينبئني بعودة الضياء.

22

كم مرة أحببتك، يا حبيبتي، من دون أن أراك أو أتذكرك –
من دون أن أتنبّه فألمحك وأعرفك، زهرة جانطيانا
نبتتْ في غير أرضها، يَسفعها قيظ الظهيرة؛
وأنا لا تستهويني غير رائحة القمح.

وقد أكون رأيتك، أو تخيلتك ترفعين كأس نبيذ
في أنغول، تحت ضياء قمرٍ صيفيّ؛
أم تراك كنت خصرَ ذلك الجيتار الذي دندنتُ عليه
خفيةً، فدوّى دويّ بحر هائج؟

أحببتك من دون أن أعرف، وتقصّيتُ ذكراك.
اقتحمتُ بيوتاً كي أسرق صورتك،
وأنا السابقُ في عِلمي كيف تبدين. وحين بغتةً

كنتِ هناك ولمستُكِ، توقفتْ حياتي:
كنتِ أمامي بكامل هيمنتك وسلطانك مثل ملكة:
مثل حريق يبتلع الغابات، واللهب طَوعُ بنانك.

23

النار من أجل النور، القمر الحقود من أجل الخبز،
الياسمين منثورٌ حول أسراره المرضوضة،
ثم الحب الرهيب، بيديه البيضاوين
يسكب السلام في عينيّ، ويُدير الشمس في حواسّي.

آه يا حبي، ما أسرع ما أقمتِ حلاوة
رسوخك في مواضع الجراح!
قاومتِ المخالب والبراثن، وأرانا الآن
أنت وأنا نقف، حياةً موحّدة، في وجه العالم.

هكذا كان الأمر، هكذا هو، وهكذا سيكون،
يا حبيبتي الوحشية الجمال، يا معبودتي ماتيلده،
إلى أن يومئَ لنا الزمن بزهرة اليوم الأخير.

لن تكوني آنئذ، ولن أكون، ولن يكون ضوءٌ،
ولكن وراء الأرض، وفوق العتمة الحالكة،
ستظل تومض بالحياة إشراقةُ حبنا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

24

حبيبتي، حبيبتي، الغيوم صعدت برج السماء
كما لو كانت نساء غسّالات ماجدات،
وكل شيء كان يتوهّج بالزرقة، مثل نجمة فريدة،
البحر والمركب والنهار، في المنفى جميعاً.

تعالي وانظري كَرَز الماء في الهواء
مفتاحاً مستديراً لكونٍ فائق السرعة؛
تعالي والمسي نار الزرقة الخاطفة
قبل أن تذوي بتلاتُها.

لا شيء هنا غير ضوء، ومقادير، وعناقيد،
وفضاءٍ مُشرّع بفضل الرياح
إلى أن يكشف آخر أسرار الزبد.

ووسط زرقات كثيرة - زرقات سماوية، زرقات غائرة-
تحار أحداقنا، فلا تكاد تحدس
بقوى الهواء، مفاتيحَ أسرار البحار.

25

قبل أن أحببتك، يا حبيبتي، ماكنت أملك شيئاً:
كنت أمضي مترنّحاً في الشوارع، وسط العاديّات:
ما من شيء له أهمية أو إسم:
كان العالم مصنوعاً من هواء، وكان ينتظر.

عرفت حجرات محشوة بالرماد،
أقنيةً كان يقطنها القمر،
مستودعاتٍ تدمدم بخشونة: «انصرف»
وأسئلة تلحّ في الرمال.

كل شيء كان خالياً، ميتاً، أبكم،
مهدّماً، مهجوراً، بالياً:
غريباً بشكل لا يصدّق، وما من شيء إلا وكان

مملوكاً لآخر ما، للا أحد.
إلى أن ملأ جمالكِ وفقرك
الخريف بهداياهما الوفيرة.

26

لا لونُ كثبان إيكويك المفزعة،
ولا خليجُ غواتيمالا حيث يصب نهر ريو دولتشي،
لا شيء غيّرَ من ملمَح وجهك، الملطّف بالحنطة،
أو هيأتك التي كعنقود عنبٍ مفعم، أو فمك القيثاري.

يا فؤادي أنت، يا التي لي، منذ ما قبلَ كل صمت،
من النجود المحكومة بالكروم المتعاشقة،
إلى المروج البلاتينية المرمّدة: في نقاء
كل مشهد طبيعي، كانت الأرضُ تحاكيك.

لكن لا أيدي التلال المعدنية الخجول،
ولا ثلوج التيبت، أو حجارة بولندا - ما من شيء
بدّل من هيأتك: حبة قمح مسافرة.

كما لو أن حقول الصلصال أو الحنطة، الجيتارات أو فاكهة تشيلان المعنقدة
تعرّفت أمكنتها فيك، مدافعةً عن انتمائها إليك،
فارضةً مشيئةَ القمر البدائي.

27

عارية، بسيطة أنت كإحدى يديك،
ملساء، أرضية، صغيرة، شفافة، ملتمّة:
لديك خطوط قمر، وممرات تفاح:
عارية، نحيلة أنت مثل حبة قمح عارية.

عارية، زرقاء أنت مثل ليلة في كوبا؛
لديك كرومٌ ونجومٌ في شعرك،
عارية، رَحبة أنت وصفراء
مثل صيف في كنيسة ذهبية.

عارية، صغيرة أنت كبعض أظافرك –
مقوّسة، مصقولة، وردية، إلى أن يولد النهار
وتنسحبين إلى العالم السفلي.

كما لو أسفلَ قناة طويلة من الثياب والأعمال اليومية:
يخفت نورُك الباهر، يرتدي ملابسه – يُسقط أوراقه–
ويعود يداً عارية من جديد.

28

الحب، من بذرةٍ إلى بذرة، من كوكب إلى آخر،
الريح، عابرةً بشبكتها شعوباً معتِمة،
الحرب بنعالها الدامية،
أو حتى النهار، بليلِه الشائك.

حيثما ارتحلنا، إلى جُزُرٍ أو جسور أو رايات،
فثمة كمنجات الخريف المتلاشي، وأحزمة الرصاص،
الهناءة تتصادى على حافة كأس النبيذ،
والأسى يحتجزنا، بتعاليم دموعه.

أعملَتِ الريحُ سوطَها عبر تلك الجمهوريات،
مقاصير العجرفة، والشَعر الجليدي؛
وفيما بعد، ستعيد الأزهارَ إلى عملها.

ولكن ما من خريفٍ هلاك مَسَّنا قط.
في مستقرّنا المطمئن برعَمَ الحب ونمَا،
بسلطانه الشرعيّ شرعيةَ الندى.

29

قادمةٌ من الفقر أنت، من منازل الجنوب،
من تلك الطبيعة المتجهمة زمهريراً وبراكين،
والتي علمتْنا - بعد ما انهارت الآلهةُ
في موتها - درس الحياة، على هيأة الطين.

مُهرٌ صغير من الطين أنت، قُبلةٌ
من الوحل الداكن، يا حبيبتي، جروٌ طينيّ،
يمامة الشفق المرفرفة عبر الطرقات،
حصّالة على شكل خنزير مليئة بدموع طفولتنا البائسة.

أيتها الصغيرة، احتفظتِ بقلب الفقر داخلك،
قدماك ألِفَتا الأحجارَ المسنونة،
وفمُك ما عَرَفَ، دائماً، الخبزَ أو الحلوى،

من الجنوب الفقير قدِمتِ، مكان ولادة روحي؛
في أعالي السماء ما تزال أمك تغسل الثياب
مع أمي. لهذا، يا رفيقة، اخترتك.

30

لك شَعر في كثافة أشجار الصنوبر في الأرخبيل.
وجلدٌ عَملتْ دهورُ الزمان على صنعه،
أوردةٌ عرفتْ بحاراً من شجر الغابات،
ودمٌ معشوشبٌ قطّرتْه السماءُ في الذاكرة.

لا أحد سيستعيد قلبي المفقود
من بين كل تلك الجذور، من وهج الشمس النضر المرير
المتناسل على صفحة الماء.
هناك يعيش الظل الذي لا يتبعني.

من أجل هذا طلعتِ أنت، من الجنوب كجزيرة
محتشدة ومتوّجة بالريش والأشجار:
ولقد شممتُ أريج تلك الغابات المتدافعة،

والتقطتُ العسل الأسود الذي وجدتُه في الأحراج؛
على وركيك لمستُ البتلات المبهمة
تلك التي وُلدت معي، تلك التي شكّلت روحي.

31

مليكة عظامي الصغيرة، أتوجّكِ
بِغارِ الجنوب وزعتر ثوتا.
وليَدُم لك ذلك التاج، الذي ضفرتْه الأرضُ
من أجلكِ مع زهور البلسم والأوراق النضرة.

أنت تنتمين، كالرجل الذي يحبك، إلى الأقاليم الخضراء،
من هناك ثمة هذا الطينُ الذي يجري في دمائنا.
وفي المدينة، مثل غيرنا من الريفيين، نتجول بارتباك،
خشية أن تقفل السوق قبل أن نصلَها.

لِظلكِ، يا معبودتي، رائحةُ الخوخ،
عيناك تمدّان جذورهما في الجنوب،
قلبك دمية طينية في هيئة يمامة.

جسدك في ملاسة حجارة الماء،
قبلاتك عناقيد فاكهة، مندّاة طازجة.
وبالقرب منك، أعيش قريباً من الأرض.

32

البيت هذا الصباح - بحقائقه المتدافعة،
بأغطيته ورياشه، بيومِهِ الذي استهلّ سَيَلانهُ -
ينجرف مثل زورقٍ صغير بائس
بين أفقَي نظامِه وإغفائه.

لا تريد الأشياءُ سوى أن تجرّ نفسها،
بقايا بائدةً، والتحامات، ومواريثَ باهتة.
الأوراقُ تُواري أحرفَ علّتها المتغضنة،
والخمر في الزجاجة تُؤْثر مواصلةَ أمسها.

ولكن أنت - يا من تضعين نظامَ الأشياء- تُرسلين
وميضَك مثل نحلة، وتسبرين الفضاءات الضائعة
في الظلمة، وتغْزين الضوءَ بطاقتك البيضاء.

وهكذا تنشئين هنا وضوحاً جديداً،
والأشياء تمتثلُ، منتهجةً ريح الحياة:
ثمة نظام وطّد خبزَه ويمامَه.

الظهر

33

حبيبتي، نحن الآن عائدان إلى البيت،
حيث الكرمة تتسلق عريشتها،
سوف يسبقك الصيف فيصلُ قبلك،
على قدمين من العسل، إلى غرفة نومك.

قبلاتنا المترحّلة طافت العالم بأسره
أرمينيا، القطرة المكثفة من العسل المنبوش،
سِيلان، اليمامة الخضراء، واليانغ-تسيه بحلمه القديم
القديم، يفصل النهار عن الليل.

والآن، أيتها الأغلى، نعود عابرين البحر الجيّاش
مثل طائرين ضريرين نحو جدارهما،
نحو عشهما في أقاصي الربيع،

ولأن الحب لا يمكنه مواصلة الطيران دون راحة،
نعود بحياتينا إلى الجدار، إلى صخور البحر،
وتعود قبلاتنا القهقرى إلى البيت الذي تنتمي إليه.

34

ابنة البحر أنت، وابنة عمّ الزعتر البريّ.
أيتها السبّاحة، لجسدك صفاءُ الماء؛
أيتها الطاهية، لدَمِك حيوية التراب.
وكل ما تصنعينه مفعمٌ بالزهور، زاخِرٌ بخِصب الأرض.

عيناك تَخرجان إلى الماء، فتعلو الأمواج،
يداك تخرجان إلى الأرض، فتُنتِشِ البذور؛
أنت تعرفين الخلاصة العميقة للماء والتربة
متّحدَين فيك ليغدوا صلصالاً.

نایاد، قطّعي جسدك إلى أجزاء فيروزية،
فلسوف تنبعث مزهرةً في المطبخ.
هكذا أنت تصيرين كلّ ما هو حيّ.

وهكذا تنامين أخيراً، محاطةً بذراعيّ
اللتين تُبعدان الظلال لتنعمي بالسكينة -
الخضارُ، الطحالب البرية، الأعشاب: زبدُ أحلامك.

35

طارت يدُك من عينيّ إلى النهار.
تقدّمَ الضوءُ وتفتّح مثل حديقة ورد.
الرمل والسماء خفقتا مثل خلية نحلٍ
قصوى، منحوتةٍ في الفيروز.

مَسّت يدُك مقاطع كلمات رنّت كالأجراس،
مَسّتْ كؤوساً، وبراميل طافحة بزيتٍ أصفر؛
بتلات أزهار، ينابيع، وفوق كل ذلك، مسّت الحبَ،
الحب: يدُك النقية، حارسةً مغارفَ الطعام.

المساء انقضى. والليل دسّ، خفيةً،
أغشيته السماوية إلى رقاد الرجل.
وأطلقت شجيرةُ الرحيق رائحتَها الحزينة الوحشية.

ثم إن يدك رفرفتْ، وطارت عائدة من جديد
ضمّت جناحيها، وريشها الذي حسبته ضائعاً
فوق عينيّ اللتين ابتلعتْهما العتمة.

36

حبيبة قلبي، يا مليكة خلايا النحل ومخازن الحبوب،
يا نمراً صغيراً من الخيوط والأبصال،
أحبُ تأمل امبراطوريتك المنمنمة
وهي تتلألأ، وأسلحتك التي من شمع ونبيذ وزيت

وثوم، أحبُ الترابَ الذي ينشقّ ليديك،
والمادةَ الزرقاء الملتهبة في يديك،
والحلمَ المتقمص شكل السلَطة،
والأفعى الملتفة داخل خرطوم السقاية.

أنت بمنجلك الذي يصعّد الأشذاء،
أنت برغوة صابونك المنتفخة،
تتسلقين سلالمي وأدراجي المخبولة.

تتحكمين بكل شيء، حتى طريقة كتابتي وخصائصها،
حتى حبوب الرمل في دفتري الصغير - واجدة في تلك الصفحات
الكلمات الضائعة التي تبحث عن فمك.

37

حبيبتي، يا شعاعَ شمسٍ مجنوناً، يا هاجساً أرجوانياً،
تأتين اليّ متسلقة سلالمك الباردة.
عبر القلعة المتوّجة بغيوم الزمان،
والجدران الشاحبة للقلب الموصد.

ما من أحد غيرك سيعلم أن الرهافة وحدها
تستطيع بناء كريستالها بصلابة كصلابة مدينة؛
وأن الدم المراق شقّ أقنيته البائسة، لكن قوته
ما هزمت الشتاء قط. لهذا يا حبيبتي

فإن ثغرك، جلدك، وضاءتك، أحزانك
كل ذلك كان إرثاً حياتياً،
كان الهِبَةَ المباركة للمطر، هبة العالم الطبيعي

ذاك الذي يرفع البذور الحبلى عالياً،
ويثير عواصف الخمر الخفية في الأقبية،
ويوهّج الذرة في الأرض.

38

لِبيتك صوت قطارٍ يعبر الظهيرة،
نحلٌ يطنّ، قدورٌ تصدح،
الشلال يُفهْرسُ أعمالَ الرذاذ الخفيف،
ضحكتك تغزِل تهدّجَها شجرةَ نخيل.

مثل فتى قروي يصلُ ببرقية مغرّدة،
ضوء الجدار الأزرق يحدث الحجارة، وهناك -
متسلقاً التلة، عابراً بين شجرتي التين بصوتهما الأخضر -
يأتي هوميروس منتعلاً خفّيهِ الكتومين.

لا صوت للمدينة هنا، لا فم، لا شيء
بالغ الفظاظة، لا سونيتات، لا صرخات أو زعيق سيارات؛
هنا انتظامٌ ساكن فحسبُ للشلالات والسباع

وهنا أنت - تنهضين، تغنين، تركضين، تمشين، تنحنين،
تزرعين، تخيطين، تطهين، تدقّين، تكتبين، تعودين -
أم تراك رحلتِ بعيداً؟ - (سأعلم عندئذ أن الشتاء قد حلّ).

39

لكني نسيتُ أن يديك غذّتا الجذورَ،
وسَقَتا الورودَ المتعاشقة،
حتى اكتملَ إزهارُ بصماتِ أصابعك
في طمأنينة الطبيعة.

كحيوانين أليفين، تتبعُك معزقتُك ومرشّتُك،
تلحسان الأرضَ وتعضّانها من حولك.
إنه عملك الذي تبعثين به الخصوبة
فيتوهّج القرنفلُ بالنضرة.

ليكنّ ليديك ولَعُ النحلِ ونُبلُه
فيما تمزجان نَسلَهما الشفّاف وتنثرانه
في التراب؛ إنهما تحرثان حتى قلبي،

وها أنا مثل حجرٍ مسفوع
ينطلق بغتة بالغناء، لأنك قربي، ولأني
شربتُ من الماء الذي حملتِه في صوتك من الغابة.

40

أخضرَ كان الصمتُ، نديأً كان الضوء،
شهر حزيران ارتعشَ كفراشة،
وأنت، يا ماتيلده، تعبُرين الظهيرة،
تعبرين أقاليم الجنوب، ببحرها وحجارتها.

مضيتِ بحمولتك من الأزهار الحديدية،
والطحالب البحرية التي سحقتْها وهجرتْها ريحُ الجنوب،
لكن يديك اللتين ما تزالان بيضاوين مشققتين بفعل الملح الأكّال،
جمعتا العيدان المزهرة، تلك التي نَبتتْ في الرمال.

أحبُّ عطاياك البريئة، بشرتَك الشبيهة بحجارةٍ لم تُمَسّ،
أظافرك، القرابين المقدّمة في شموس أناملك،
فمك الطافح بكل المباهج.

آه امنحيني، في منزلي قرب الهاوية،
بنية ذاك الصمت المقلقَة
مقصورةً بحريةً، منسيةً في الرمال.

41

يا لأوقات كانون الثاني العصيبة، حيث تستوي
الظهيرةُ اللامبالية في كبد السماء.
وكما يملأ النبيذُ الكأسَ، ذهبٌ قاسٍ
يملأ الأرض حتى أقاصيها الزرقاء.

يا لأوقات الفصل العصيبة، مثل أعنابٍ صغيرةٍ
تتقطر مرارةً خضراء،
دموعُ الأيام الخفية المرتبكة، تتكاثر
على شكل عناقيد، إلى أن يكتشفها الطقس الرديء.

أجل: بزور النسل، والحزن، وكل ما ينبض
مذعوراً تحت ضوء كانون الثاني الجيّاش
سوف يَنضج، ويُصوّح، كما تَنضجُ الثمرة المصوّحة.

أما متاعبنا فستهوي فتاتاً، وتعصف بها الروحُ
كما الريح، وهنا حيث نعيش
سيستعيد كل شيء نقاءه، بخبزٍ طازجٍ على الطاولة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

42

أيام مشعّة تتقلب على المياه، كثيفة
مثل قلب صخرة صفراء، بهية بَهاءَ العسل.
تلك أشياء لم تخرّبها الاضطرابات،
تلك أشياء صانتْ نقاءها الصلب.

أجل، ضوء النهار يطقطق مثل لظى، أو مثل نحل،
ماضياً في أداء عمله الأخضر، دافناً نفسه بأوراق الشجر،
إلى أن تبلُغ الوريقاتُ في ذؤابة الشجرة
عالماً زاهياً يتوامض ويهسهس.

عطشَ النار، يا لذعةَ الصيفِ المكتنِز،
يا من تقيمين جنة عدن ببضعة أوراق خضر،
لأن الأرض بوجهها المعتم لا تريد أن تعاني،

بل تريد العذوبة - النار- الماء - الخبز، للجميع.
لا ينبغي لشيء أن يفصل بين الناس
ما عدا الشمس أو الليل، القمر أو الأغصان.

43

تقصّيتُ لمحةً منك بين الأخريات جميعاً،
في نهر النساء المتموّج الدافق،
في الجدائل، في العيون المُغضيةِ خَفَراً،
في الخطوة الرشيقة التي تزلق، مبحرةً في الزبد.

ويخطر لي، بغتة، أن بإمكاني وصف أظافرك -
المستطيلة، الذكية، بنات أخت الكرز-:
ثم ها هو شعرك يعبُر، ويخطر لي
أنني أراك في صورة نارٍ عظيمة، تشتعل في الماء.

بحثتُ، ولكن ما من واحدة لها إيقاعك،
لها ألقُك، النهار الظليل الذي جئت به من الغابة؛
ما من واحدة لها أذناك المنمنمتان.

تامّة أنت - متقنة - وكل ما فيك فريد
وهكذا أمضي، معك أراني أطوف، في هوى
المسيسيبي الرحب، باتجاه بحر أنثوي.

44

لتعلَمي أنني لا أحبك وأني أحبك،
لأن لكل ما هو حيّ وجهين؛
الكلمة هي إحدى جناحي الصمت،
وللنار شطرُها البارد.

أحبك من أجل أن أشْرِع في حبك،
لأستهل اللانهاية من جديد
ولكي لا أكفّ عن حبك:
ولهذا فأنا لا أحبك بعد.

أحبك، ولا أحبك، كما لو كنت أقبضُ
على مفتاحين في يدي: واحد لمستقبل مترع بالبهجة،
وآخر لمصير بائس معكور.

حبي يحيا حياتين من أجل أن أحبك.
لهذا فأنا أحبك حين لا أحبك،
وأحبك أيضاً حين أحبك.

45

لا تبعدي عني، ولو ليوم واحد، لأن-
لأن- لا أدري كيف أقول ذلك، اليوم طويل
وسوف أكون في انتظارك أشبَه بمحطة خاوية
حيث القطارات متوقفة في مكان ما، تغطّ في النوم.

لا تتركيني، ولو لساعة واحدة،
فالألم، عندئذ، سوف تتجمع قطراته الصغيرة،
والدخان الطوّافُ بحثاً عن مستقر
سوف يدفق في داخلي، خانقاً قلبي الضائع.

آه، لعل ظلّك لا يمّحي على رمل الشاطئ،
لعلّ جفنيك لا يرفّان في مدى خاوٍ،
لا تتركيني ولو لحظة، يا معبودتي،

لأنك في تلك اللحظة ستبعدين كثيراً
ولسوف أجوب الأرض ذاهلاً، سائلاً،
هل ستعودين؟ أم ستدعينني أموت هنا؟

46

من بين جميع النجوم التي تعجبني، المشبَعة
بشتّى الأنهار والسُّدُم،
أختار فقط تلك التي أحب.
مذّاك وأنا أنام مع الليل.

من بين الأمواج كلها، موجة في إثر موجة،
بحر أخضر، قشعريرة خضراء، تشعّبات الأخضر
أختار موجة واحدة فحسب،
موجة جسدك التي لا تتجزأ.

قطرات المياه كلها، الجذور كلها
خيوط الضوء كلها تجمعت لديّ هنا؛
إنها تأتيني عاجلاً أو آجلاً.

أردتُ شَعرك، أردته كله لنفسي.
من بين كل ما يقدمه وطني من نُعمَيات
أختار فقط قلبك الهمجي.

47

أريد أن أُرجع بصري فأراك بين الأغصان.
تتحولين شيئاً فشيئاً إلى ثمرة.
كان سهلاً عليك أن تنهضي من الجذور،
مُغنّية مقاطع من نسغك.

هنا ستكونين أولاً وردة عبقة،
تتحول فتتخذ شكل قبلة مثالية،
إلى أن تنجز الشمسُ والأرضُ، الدم والسماء،
وُعودَ الحلاوة والمتعة، فيك.

هناك بين الأغصان لسوف أميّز شَعرك،
صورتك التي تنضج بين الأوراق،
مُدلّية بتلاتها إلى ظمئي.

ولسوف يمتلئ فمي بمذاقك،
بالقبلة التي شطأتْ من التراب
ممزوجة بدمك، دم ثمرة العاشقة.

48

عاشقان سعيدان يصنعان رغيفاً واحداً،
قمراً وحيداً يسقط في العشب.
يمشيان، يُلقيان ظلين يجريان معاً؛
يمشيان، يتركان شمساً خاوية في سريرهما.

من بين كل الحقائق الممكنة، ينتقيان نهاراً؛
ويقيدانه، لا بالحبال، بل بالعبير.
ما مزّقا السكينة؛ ما هشّما الكلمات؛
سعادتهما برج شفّاف.

النسيم والنبيذ في حضرة العاشقين.
الليل يمتعهما بتُوَيجاته المبهجة.
وكل أزهار القرنفل طوع بنانهما.

عاشقان سعيدان، بلا انتهاء، بلا موت،
يولدان، يموتان، مرات عديدة في حياتهما:
إن لهما الحياة الأبدية لما هو فطريّ.

49

إنه اليوم: الأمس كلّه تسرّب بعيداً
من بين أصابع الضوء والأعين الهاجعة.
الغد سوف يأتي بخطواته الخضراء؛
لا أحد يمكنه إيقاف نهر الفجر.

لا أحد يمكنه إيقاف نهر يديك،
أو نهر عينيك الناعستين، يا معبودتي.
أنت ارتعاشة الزمان، عابراً
بين الضوء العمودي والسماء التي تُعتم.

تطوي السماء جناحيها عليك،
ترفعك، تحملك إلى ذراعيّ
بلطفها الغامض، الدقيق في مواعيده.

لهذا أغني للنهار وللقمر،
أغني للبحر، للزمن، للكواكب كلها،
لصوتك اليومي، لبشرتك الليلية.

50

كوتابوس يقول أن ضحكتك تهوي
هُوِيَّ نسرٍ من برجه الحجري. وهذا حق،
يا ابنة السماء، أنت تَشرَخين العالم
وأوراقه الخضراء، بصاعقة واحدة من وميضك:

تنقضّ، وتُرعِدُ ألسنةَ الندى،
ومياهَ الماس، والضياءَ بنحله المتواثب.
وهناك حيث عاش الصمت ذو اللحية المستفيضة،
قنابلُ ضوء صغيرة تنفجر، فتكون الشمس والنجوم،

وتتنزّل السماء بليلها الألَيَل الكثيف،
تتوامض الأجراس وأزهار القرنفل في نور البدر،
وتخبّ خيول صانعي الأسرجة.

لأنك صغيرة ملمومة، دعيها تشقّ،
دعي شهاب ضحكتك يطير:
كهربي الأسماء العادية للأشياء!

51

تذكرني ضحكتك بشجرة
مصدوعة بضربة برق، بمكيدة فضية
تسقط من السماء، تفلق الذؤابة
وبسيفها تشطّر الشجرة.

ضحكة كضحكتك التي أحب، تلِدها
أوراقُ النباتات فحسب، وثلوج الأراضي العالية،
ضحكة الهواء التي تنفجر حرّة على تلك الذرى،
أيتها الأعز، يا إرثاً أروكانياً.

يا امرأتي الجبلية، يا بركاني الصافي من تشيلان،
اشطري بضحكتك الظلال،
اشطري الضياء والصباح وعسل القمر:

العصافير بين الأوراق سوف تتقافز في الهواء
حيث تخترق ضحكتك، مثل ضوء متهوّر،
شجرة الحياة.

52

تغنّين، يقشّر صوتُك أغلفة حبوب
النهار، تغنين مع الشمس والسماء،
أشجار الصنوبر تنطق بألسنتها الخضراء،
وطيور الشتاء تطلق صفيرها.

يملأ البحر قبوه بوقع الخطى،
بالأجراس، بالسلاسل، بالأنين،
بقرقعة الأدوات المعدنية،
وصرير عجلات العربات.

ولكنني لا أسمع سوى صوتك، صوتك
المحلّق بدقّةِ وأزيزِ سهمٍ،
والساقط بمهابة مطر.

صوتك يبعثر السيوف العالية
ويعود محملاً بالبنفسج
ويصحبني عبر السماوات.

53

ههنا الخبز - النبيذ - المائدة - والبيت:
حاجات الرجل، وحاجات المرأة - وحاجات الحياة.
دارت الدّعةُ، وجعلت مستقرها في هذا المكان.
والنار المشاع اضطرمت لتشيع هذا النور.

التحية ليديك، اللتين ترفرفان لتقدما
صنائعهما البيضاء، غناءً وقوتاً؛
المجد لحيوية قدميك المفعمتين حركة؛
ولتعش أبداً الراقصة التي تراقص مكنستها.

تلك الأنهر المتغضنة من ماءٍ ووعيد،
سرادقات الزبد المعذّبة،
خلايا النحل والأحياد البحرية الحارقة،

مُرجأة كلها اليوم، دمك يجري في دمي،
هذه هي الطريق، زرقاء ومرصعة بنجوم الليل،
هذه هي العذوبة البسيطة اللانهائية.

المساء

54

أيها العقل اللامع، يا شيطان العناقيد
المحضة المتألق، في الظهيرة العمودية:
ها نحن أخيراً وحيدان، من دونما عزلة،
بمنجى من صخب المدينة الوحشي.

وكما بخط بسيط تُرسم انحناءاتُ اليمامة،
وكما تُجلِّ النارُ السلامَ وتَقُوتُه،
هكذا صنعنا، أنت وأنا، هذه العُقبى السماوية.
العقل والهوى، عاريين، يقيمان في هذا البيت.

الأحلام الضارية، أنهار اليقينيات المرّة،
القرارات الأشد صلابة من منامات مطرقة،
تدفقت مترعة كأس العاشقين المزدوجة.

إلى أن رُفع ذانك التوأمان على كفتَي
ميزان: العقل والهوى، مثل جناحين.
وهكذا تمّ بناء هذه الشفافية.

55

أشواك، حطام زجاج، مرض، صراخ: تجتاح
طوال اليوم الطمأنينةَ المعسولة. ولا جدوى من الأبراج
أو الجدران أو الممرات السرية.
القلق يتسرّب إلى هدأة الغفاة.

يعلو ويهبط الأسى، ويدنو بمغارفه،
ولا أحد يمكنه العيش من دون حركته اللامتناهية هذه؛
من دونه لن يكون ثمة ولادة، أو سقف، أو سور.
إنه ينوجد، وعلينا نحن أن نجد له تبريراً.

لا العيون المطبقة بشدة على الحب،
ولا الأسرّة الوثيرة البعيدة عن الأمراض المعدية،
تَحُول دون هذا الغازي المتقدم، خطوة خطوة، ببيارقه.

ذاك أن الحياة تنبض مثل المِرّة الصفراء، وتشقّ،
مثل نهر، قناةً دامية، تتفرس من خلالها العيونُ فينا،
عيونُ أُسرةٍ كبيرة مفعمة بالأحزان.

56

تعوّدي رؤية الظل ورائي، تقبّلي
انبثاق يديك نقيتين من الضفينة،
كما لو كانتا صنعتا في صباح النهر.
حبيبتي، وهبك الملح تناسقه الكريستالي.

يعاني الحسدُ ويضمحل، تستنزفه أغنياتي،
واحداً بعد الآخر يتعذب قادته الحزينون ويموتون.
أنطقُ بالحب، فيعجّ العالم باليمام.
وكل كلمة من كلماتي تستقدم الربيع.

ثم ها أنت ذي - في ريعانك، يا فؤادي، يا غاليتي:
تشرفين على عينيّ مثل أوراق السماء،
ها أنت ذي. أتأملك مضطجعة على الأرض.

أرى الشمس تدلّي براعمها من محياكِ
ومصعّداً بصري في السماوات أتقرّى خطاك.
آه يا ماتيلده، ياالأغلى، يا تاج المجد: أحييك.

57

إنهم لأفّاكون، من ادّعوا أنني فقدت قمري،
من تنبأوا لي بمستقبلٍ يشبه صحراء مشاعاً،
من أطلقوا الكثير من الشائعات بألسنتهم الباردة،
محاولين حَجْبَ الزهرةِ الكونية.

«عَنبرُ الحوريات النزقُ العفويُّ
قد انتهى. وما تبقّى له سوى الناس».
ثم راحوا يقرضون مقالاتهم المتتالية،
ويدبّرون لجيتاري النسيان.

لكنني في عيونهم قذفتُ برماح حبنا اللامعة،
تلك التي ثقبتْ قلبك وقلبي.
وجمعتُ ما خلّفتْهُ خطاك من ياسمين.

ضللت طريقي في الليل، من دون ضياء
جفنيك، وحين طوّقني الليل
وُلدتُ من جديد: سيّدَ ظلماتي المُطلق.

58

وسط السيوف العريضة للأدب الحديدي
أتسكع مثل ملاّح غريب، يجهل الدروبَ
وتعرجاتها، ويُغنّي لأنه يغنّي،
وإلا فأيّ شيءٍ له أي معنى؟

من أرخبيلات العواصف أتيتُ بأكورديوني،
أمواجُ المطر المجنون،
والبطءُ الاعتياديّ للأشياء الطبيعية:
صنعا قلبي البريّ.

ولذا، حين نهشتْ أنيابُ الأدب الحادةُ
عَقِبَيَّ الساذجتين، واصلتُ مسيري
بلا توجّس، مُطلقاً في الريح أغنيتي،

نحو مخازن طفولتي الماطرة،
نحو الغابات الباردة للجنوب العصيّ على التعيين،
نحو المكان الذي امتلأ قلبي فيه بأريجك.

59

(G.M.)

يا للشعراء المساكين المنحوسين: تناكدهم الحياةُ
ويناكدهم الموتُ، بالعناد القاتم ذاتِه،
أولئك المخنوقين بالأبّهة الجوفاء، مرتَهَنين
للطقوس، للمآتم التي كحوصلةٍ محشوةٍ بالأسنان.

المبهمين الآن كما الحصى، المجرورين
خلفَ خيول متغطرسة، ليرقدوا
بلا سَكينةٍ، المقهورين في النهاية
بالغزاة، وسط حاشيتهم

الذين، بعد يقينهم أنّ من مات مات مرةً وإلى الأبد،
يُولمون وليمتهم المجهِشَةَ في جنازته،
حيث يُقدَّمُ لحمُ الحبش والخنزير، وبقيةُ الخطباء.

قد خرّبوا موته، والآن يُشَهِّرون به -
ولكن فقط لأن فمه مطبقٌ
فليس بوسعه أن يعترض، بعدُ، بأغنيته.

60

أولئك الذين أرادوا أن يجرحوني جرحوكِ،
وجرعةُ السمّ التي أُعدّتْ لي
كشَرَكٍ يتخللُ عملي - خلّفتْ
لطخةَ صدئها وأرقها عليك.

لا أريد للضغائن التي دمرتْني، يا حبيبتي،
أن تظلّلَ القمرَ المُزهرَ على جبينك؛
لا أريد لهذا الحقد العشوائي الأحمق
أن يلقي بجعبة سكاكينه في حلمك.

خطىً ممرورةٌ تتعقّبني؛
تكشيرةٌ بشعةٌ تهزأ بابتسامتي؛ الحسدُ
يبصق لعنتَه، ويقهقه، كازّاً على أسنانه حين أغني.

ذاك، يا حبيبتي، الظلُّ الذي منحتْنيه الحياةُ:
ثيابٌ خاوية، تطاردني بعَرَجها،
مثل فزاعةٍ بتكشيرة دامية.

61

يجرّرُ الحبُ ذيلَ آلامه،
قافلةً أشواكه الساكنة خلفَه،
أما نحن فنغمض أعيننا كي لا يتمكن شيء
أو جرحٌ من أن يفرّق بيننا.

هذا البكاءُ ليس زَلّةَ عينيك؛
يداك ما أغمدتا ذلك السيفَ؛
قدماك ما تَبِعَتا هذا الدربَ؛
العسلُ المعتمُ ذاك وَجَدَ طريقه إلى قلبك.

حين رفَعَنا الحبُ، مثل موجةٍ هائلة،
وحَطّمَنا على الصخور،
فقد جعل منّا طحيناً متفرداً؛

يسقط هذا الأسى على وجهٍ آخر أشَدّ عذوبة،
وهكذا في موسم الضياء المفتوح
ربيعنا الجريح كان مباركاً.

62

أسفي عليّ، أسفي علينا، يا غاليتي:
ما أردنا شيئاً سوى الحب، أن يحب أحدُنا الآخر،
لكن وسط كل تلك الأحزان كان مُقدّراً لنا
وحدنا أن نعاني من الأذى.

أردنا أن تكون الأنت ويكون الأنا.. لنا،
الأنت قبلةٌ، والأنا خبزٌ سِرّي:
وهكذا كان، ببساطةٍ مطلقة،
إلى أن دخلتْ الكراهيةُ من النافذة.

يكرهون، أولئك الذين ما أحبوا حبنا
أو أي حب آخر: أولئك البائسون
كمقاعد في غرفة خالية -

حتى انجَدَلوا في الرماد،
حتى ذوتْ سِحَنُهم المشؤومة
في تلاشي الشفق.

63

مشيتُ، لا قاطعاً الأرض البور فقط، حيث الصخرة المالحة
هي الوردةُ الوحيدة، الزهرةُ المدفونة في البحر -
بل أيضاً على ضفاف أنهرٍ تشق دروبها في الثلوج،
سلاسلُ الجبال الوعرة الشاهقة أحسّت بخطاي أيضاً.

يا عوالم وطني البدائي، المتشابكة الصافرة،
يا عرائش الكروم المغلولة قُبْلَتُها المميتة إلى الأدغال،
يا صيحة الطائر الرطبة، تعلو نافضةً عنها ارتعاشاتها:
آه يا عالم الأحزان المهملة والدموع العاصفة!

جِلد النحاس السامّ، أملاحُ النترات الممتدة
على شكل تمثالٍ، مُفتّتٍ ومكسوٍّ بالثلج: هذا كله لي،
وليس هذا فحسب، الكروم أيضاً، وحبات الكرز - مكافآت الربيع،

لي هذه أيضاً، وأنا أنتمي لها، انتماء ذرّة سوداء
إلى الأرض القاحلة، في ضوء الخريف الساقط على الأعناب،
في هذا الوطن المعدني المرفوع بأبراج الثلج.

64

ملونةً بأرجوان حب كثير كانت حياتي،
وانعطفتُ مندفعاً بلا تبصّر، مثل طائر أعمى،
حتى بلغت نافذتك، يا صديقتي،
وتناهت إلى سمعك غمغمةُ قلبي الكسير.

من تلك الظلال سموتُ إلى نهديك،
بلا وجود أو وعي، طِرتُ إلى أعلى أبراج القمح،
وتموّرتُ في يديك حياةً،
من البحر سَمَوتُ إلى مباهجك.

ما من أحد يمكنه تقدير منزلتك عندي، يا حبيبتي،
منزلتك عندي شديدة الصفاء، مثل جذرٍ مُجتلبٍ
من أراكو، منزلتك عندي، يا حبيبتي،

بوضوحٍ هي مثل نجمة، منزلتك عندي،
منزلتك عندي مثل بئر في أرض قفر،
حيث الزمن يحرس جَوَلانَ البرق.

65

ماتيلده، أين أنت؟ هناك
بين ياقة قميصي وقلبي،
تلمّستُ وخزة أسى بين الضلوع،
كنتِ قد غبتِ هكذا سريعاً.

افتقدتُ نورَ عزيمتك،
فتلفتّ حولي، ملتهماً كل رَجاءٍ.
تأملتُ الفراغَ الذي خلفتهِ مثل بيت،
لم يبق غير نوافذ مفجوعة.

بعيداً عن سكوتك الشفاف يُصغي السقفُ
إلى تساقُطِ مطرٍ قديم بلا أوراق،
إلى الريش، إلى كل ما هو في قَيْدِ الليل،

وها إني، مثل بيت متوحّد،
أنتظر أن تريني وتسكنيني.
وحتى ذلك الحين نوافذي توجعني.

66

لا أحبك، إلا لأني أحبكِ،
أروح وأجيء من حبّك إلى لا حبّك،
من انتظاركِ إلى لا انتظارك
ويتطوّح قلبي بين البارد

والحارق. أحبك فقط لأنكِ أنتِ
من أُحب؛ أبغضك بلا انتهاء، وبغضي لك
ينحني لك، ومَبلغ حبي المتقلب لك
أنني لا أراك بل أحبك

بلا تبصّر. ولعلّ ضوء كانون الثاني أن يستنفد
قلبي بأشعته الفظة،
خاطفاً مفتاح سكينتي الحقّة.

في هذا الفصل من الحكاية أنا ذاك الذي
يموت، الوحيد الذي يموت، وسأموت حباً لأني أحبك،
لأني أحبك، يا حبيبتي، بالنار والدم.

67

أمطار الجنوب العظيمة تهطل على إيسلا نيغرا
مثل قطرة واحدة، ثقيلة وصافية،
البحر يفتح أوراقه لاستقبالها،
والأرض تتعلم كيف بكأسِ نبيذٍ

تبلغ مصيرَها النشوان. بقبلاتك، يا روحي،
امنحيني الماء مالحاً من تلك الشهور، وعسلَ الحقول،
والشذا المندّى بشفاه السماء الألف،
والاصطبارَ المقدسَ للبحر في الشتاء.

شيءٌ ما يَندهُنا،الأبوابُ جميعها تنفتح
من تلقاء نفسها، المطر يعيد على النوافذ إشاعاته،
والسماء تنمو نزولاً إلى أن تلمسَ الجذور،

هكذا ينسج النهار شبكته السماوية، ويحلّها،
بالوقت، والملح، والوشوشات، والثمار، والطرقات،
بالمرأة، بالرجل، وبالشتاء على الأرض.

68

«تمثال الجؤجؤ»
الفتاة الخشبية لم تأت مشياً إلى هنا؛
بل وُجدت، فجأة، على الشاطئ، تجلس على الحصى،
رأسها مغطى بأزهار بحر قديمة،
وعلى وجهها ملامح حزن الجذور.

هناك مكثتْ تراقب حيواتنا المكشوفة،
حركاتنا وسكناتنا وذهابنا ومجيئنا، فوق اليابسة،
فيما بتلاتُ النهار تتلاشى تدريجياً. مكثتْ تراقبنا
من دون أن ترانا. تلك الفتاة الخشبية:

متوّجةً بأمواجٍ غابرة، أخذتْ تطلّ
من خلال عينيها الغريقتين.
هي تدري أننا نعيش في شبكة نائية

من نَسْج الوقت والماء والأمواج وضجيج الأمطار،
وهي لا تدري إن كنا حقاً موجودين، أم أننا مَحضُ حُلمِها.
تلك قصة الفتاة المصنوعة من خشب.

69

لعل العدمَ هو أن أكون بدون حضورك،
بدون حركتك التي تَقطَعُ الظهيرةَ إلى شرائحَ
مثل زهرة زرقاء، بدون مشيتك المتلكئة
وأنت تعبرين الضباب وحجارة الطريق.

بدون الضياء الذي تحملينه بيديك،
ذهبياً، ولا يراه سواي،
وما من أحد عرف كيف كان يتفتّح
كتباشير الحُمرة في الوردة.

بإيجاز، بدون حضورك، بدون قدومك
المباغت، متحفزةً لمعرفة حياتي،
عصفةَ وردٍ، وحِنطةَ ريح،

مذّاك وأنت سببُ وجودي،
مذّاك أنت، أنا، نحن،
وبالحب سوف أكون، سوف تكونين، سوف نكون.

70

ربما كنتُ - بالرغم من أنني لا أنزف - جريحاً،
يمشي في واحدٍ من أشعة حياتك.
في منتصف الدغل اعترضني الماءُ،
المطر الذي يهطل بسمائه.

ثم إني لمستُ القلبَ الذي سقطَ، ممطراً:
هناك ثمةَ عرفتُ أنهما عيناك
من طعنني في أرض حزني الفسيحة،
وما من شاهد غير همس الظلال،

من يكون؟ من يكون؟ ولكن لا اسم له،
ورقة الشجر أو الماء الداكن اللذان تمتما
وسط الدغل، أصمّان في الطرقات:

وهكذا، يا حبيبتي، علمتُ أنني كنت جريحاً،
وما تفوّه أحدٌ هناك سوى الظلال،
والليلُ المتسكع، وقُبلةُ المطر.

71

من أسىً إلى أسىً يجوب الحُبُّ جُزرَه،
ويمدّ جذوره المروية بالدموع،
وما من أحد، أبداً، يمكنه تجنب تَرَقّي القلب
وهو يندفع صامتاً وأكّالاً.

كنا بحثنا، أنت وأنا، عن وادٍ فسيح، عن كوكب آخر
لا يمسّ الملحُ فيه شعرك،
ولا تنمو الأحزان بسبب ما اقترفتُ،
حيث الخبز يعيش ولا يعتريه الهرم.

كوكب مضفور بمشاهد الطبيعة وأوراق الشجر،
بسيط، صخري، صلب وغير مأهول،
شئنا أن نشيد عشاً راسخاً

بأيدينا، لا أذى فيه ولا إساءة ولا خطاب،
لكن الحب لم يكن هكذا: الحب كان مدينة مجنونة
بحشود من الناس تشحَبُ على شرفاتها.

72

حبيبتي، الشتاء يعود إلى مَهامِّه،
والأرض تهيء أعطياتها الصفراء،
فيما نريّت نحن أقاصي البلاد
ونمسّدُ شعر الكوكب -

لكي نمضي الآن، هلمي: عجلات، سفن، أجراس،
طائرات مسنونة بضوء النهار اللانهائي،
نحو رائحة الأرخبيل الزفافية،
وحبوب الفرح الطولانية!

فلنمضِ إذن -انهضي - اعقصي شعرك إلى الخلف، أقلعي
واهبطي، اركضي وغنّي مع الهواء ومعي:
ولنستقل القطار إلى جزيرة العرب، أو إلى توكوبيللا،

مبحرين فحسب مثل غبار طلعٍ ناءٍ:
إلى أرض الأسمال القارسة والغاردينيا،
التي يحكمها ملوك فقراء بلا أحذية.

73

لعلك ستذكرين الرجل ذا الوجه الناحل كشفرة
الذي انبثق خارجاً من الظلمة مثل نصل
والذي عرف - من قبل أن نتنبّه - ماذا كان يجري:
رأى الدخان، وأدرك وجود النار.

المرأة الشاحبة بشعرها الأسود
برزتْ مثل سمكةٍ من أعماق اللجّة،
وابتدع الاثنان آلةً غريبة
كاملة التسليح، لمجابهة الحب.

رجل وامرأة، صرعا الجبال والحدائق،
نزلا إلى النهر، قاسا ارتفاع الجدران،
ونصبا على التلال مدافعهما المروّعة.

عرف الحب، حينئذ، أنه يسمى الحب.
وحين وجّهتُ عينيّ نحو اسمك،
دلّني قلبُك، بغتةً، على طريقي.

74

مخضّلةً بمياه آب التمعت الطريقُ
كما لو اقتُطعتْ من بَدرٍ،
أو كضوء تفاحة كامل
يخترق قلب ثمرة خريفية.

الضباب، الأرض الفضاء، أو السماء، شبكةُ النهار المبهمة
تنتفخ بأحلام باردة، بضجيجٍ وأسماك،
بُخار الجزر يهاجم اليابسة،
والأوقيانوس يرتعد فوق بحر تشيلي.

كل شيء ملتزٌّ كمعدن، تتوارى
أوراق الشجر، ويكتمُ الشتاءُ ذراريه،
ونحن، العميَ الوحيدين، وحيدون بلا انتهاء.

عرضة لعبور الحركة الصامت،
للتوديع، للإقلاع، للطريق:
وداعاً، سقطتْ دمعةُ الطبيعة.

75

ههنا البيت، والبحر، والراية.
نحن نتسكع بمحاذاة أسيجةٍ ممتدة أخرى،
ولا نعثر على البوابة، أو على أصواتِ
غيابنا - كأننا موتى.

بعدَ لأيٍ فَتَحَ البيتُ صمتَه،
دخلْنا، ورحنا نخطو على أشياء مهجورة،
جرذان نافقة، حفلات وداع خاوية،
وعلى الماء الذي بكى في المواسير.

والبيت بكى، بكى ليلَهُ ونهارَه،
وأخذ ينشج مع العناكب، موارَباً،
ثم تساقط قِطعاً، بعينيه المعتمتين -

وها نحن الآن، وعلى نحو مفاجئ، نعيد إليه الحياة،
نقيم فيه، ولا يتعرف إلينا:
كان عليه أن يتفتح ويُزهر، لكنه نسي كيف.

76

بصبر يليق بدبٍّ، راح دييغو ريفيرا
يتقصّى في رسمه زمرّدَ الغابات،
أو ذاك القرمزي، زهرة الدم الفجائية؛
ويحشد في صورتك ألق العالم كله.

لقد رسم زيّ أنفك الملوكي،
وميض عينيك المتهاديتين،
وأظافرك التي تُوقد حسدَ القمر،
وبطيخ فمك، في بشرتك الصيفية.

منحك ذروتين من البراكين المصهورة،
بالنار، بالحب، بأصلك الأروكاني،
وفوق وَجْهَيْ الصلصالِ المذهّبين

توّجكِ بخوذة من الضِرام الوحشي:
هناك تلبّثتْ عيناي، خفيةً،
مشتبكتين بشعرك الكامل المتعالي.

77

اليوم هو اليوم، بثِقَل كل الزمن الفائت،
بأجنحة كلّ ذلك الذي سيصير غداً؛
اليوم هو جنوب البحر، عُمرُ الماء القديم،
بنيةُ اليوم الجديد.

بَتَلاتُ اليوم المنصرم تتجمّع على فمكِ،
مرفوعةً إلى الضوء أو إلى القمر،
والأمسُ يخبّ هابطاً ممرّه المظلم
كي نتمكن من تذكر وجهك الذي مات.

اليوم والأمس والغد تمضي،
مأكولةً، مُستهلكةً في يوم واحد مثل رَبْلةِ ساقٍ محترقة؛
فيما ينتظر قطيعُنا بأيامه المعدودة.

غير أن الزمن في قلبك نَثَرَ طحينَه،
وحبّي من صلصال تيموكو بَنى لك فرناً:
يا خبز روحي اليومي.

78

لا أعرف معنى «أبداً بعد الآن»، أو معنى «دوماً»،
في الرمل خلّف الانتصارُ آثارَ أقدامه.
لستُ سوى رجلٍ مسكين يرغب في حب رفاقه.
أجهل من تكونين، وأحبك. لست ممن يطّرحون الأشواك أو يُتاجرون بها.

أحدٌ ما قد يعلم أنني لا أحوك الأكاليل
استدراراً للدماء؛ وأنني ناضلتُ ضد الزيف؛
وملأت تيارَ روحي العالي بالحقيقة،
وأني قابلتُ الوضاعة باليمامْ.

لا أعرف معنى «أبداً»، مختلفاً كنتُ -
كنتُ، وأنا ذا، وسأبقى. وباسْم حبي
الديمومي أُعلنُ النقاء.

ما الموتُ إلا حجر النسيان.
أحبك، وأقبّل الفرحَ على شفتيك.
هلمي نجمع حطباً. سنشعل نارنا على قُنَنِ الجبال.

الليل

79

ضمّي، في الليل، قلبك إلى قلبي، ليتسنى لهما معاً،
فيما يرقدان، هزيمة الظلمات
مثل طبلٍ مُزدوج في غابة، يَقرعُ
ضدّ جدار الأوراق المبللة الكثيف.

سَفَرٌ ليليّ، لهبُ الهجعةِ الأسودُ
ذاك الذي يقصّ خيوط عناقيد الأرض،
دقيقٌ دقةَ مواعيد قطارٍ يسوق في اندفاعه
الظلالَ والحجارة الباردة، بلا انتهاء.

لأجل هذا يَشدّني الحبُ إلى حركته الأنقى،
إلى الثبات النابض في صدرك
بأجنحة بجعةٍ ترفرفُ تحت الماء.

وكي يتمكن نومُنا من الإجابة على كل أسئلة
السماء المليئة بالنجوم، بمفتاح واحد،
بباب وحيد، موصَدٍ بالظلال.

80

حبيبتي، لقد عدتُ من السفر والأحزان
إلى صوتك، إلى يدك المتطايرة فوق أوتار الجيتار،
إلى النار التي تعترض الخريف بالقبلات،
إلى الليل الدوّار عبر السماوات.

أطالبُ بالخبز والسيادة للجميع،
أطالب بأرضٍ للعمال الذين بلا مستقبل.
وليُحرَم الراحةَ كل من يترقب دمي أو أغنيتي!
ولكني لن أتخلى عن حبك، إلا بالموت.

اعزفي، إذن، فالسَ القمر الهادئ،
وأغنيةَ البحارة على جيتارك الذائب،
إلى أن يتدلى رأسي مثقلاً بأحلامه.

لأن أرق حياتي كله قد حاك
هذا الملجأ في البستان حيث تعيش يدُك وتطير،
ساهرةً على ليل المسافر النائم.

81

والآن أنت لي. أريحي حلمك في حلمي.
الآن على الحب والألم والعمل أن تهجع جميعاً.
الليل يدير عجلاته اللامرئية،
وأنت إلى جانبي نقية كالكهرمان الغافي.

لا أحد غيرك، يا حبيبتي، سيرقد في حلمي. سوف تمضين،
معاً سوف نمضي فوق مياه الزمان.
لا أحد غيرك سوف يرتحل عبر الظلال معي،
وحدك أنت، يانعة أبداً، مشمسة أبداً، مقمرة أبداً.

يداك قد فَتَحتا قبضتيهما الرقيقتين
سامحتين لإيماءاتهما الناعمة المتدفقة أن تقطر بعيداً؛
عيناك أغمضتا كجناحين رماديين، وأنا سعيتُ

خلفهما، مُتّبعاً الماء المطويّ الذي تحملين، والذي يحملني
بعيداً. الليل والعالم والريح تنسج مصائرها.
من دونك، أنا حلمُك، حلمك فقط، ولا شيء آخر.

82

فيما نُوصدُ هذا الباب الليليّ، يا حبيبتي،
تعالي نتجول معاً عبر الأمكنة المتخيّلة.
أغمضي أحلامك، يا حبي، ادخلي عينيّ بسماواتك،
وانتشري في دمي مثل نهر فسيح.

وداعاً لضوء النهار الفظّ، الذي نقّط
في كيس خيش الماضي، يوماً بعد يوم.
وداعاً لكل أشعة الساعات، أو البرتقالات.
أيها الظل، يا صديقاً يزور غِبّاً، أهلاً!

في هذا المركب، أو الماء، أو الموت، أو الحياة الجديدة،
نحن مُتّحدان ثانيةً، راقدان، منبعثان:
نحن زواج الليل بالدم.

لا علم لي بمن يحيا أو يموت، من ينام أو يصحو،
لكني أعلم أنه قلبك من يوزّع
نُعميَات الفجر كلها في صدري.

83

ما أطيبَ أن أحسّك قربي في الليل، يا حبيبتي،
محجوبةً بنومك، ليليّة بمعنى الكلمة،
بينما أنهمك أنا بفكّ ارتباكاتي
مثل شِباكٍ متداخلة.

غافلاً يَمخُر قلبُكِ عبابَ الأحلام،
لكن جسدك يتنفس، متهتكاً،
يبحث عني من دون أن يراني، ويُتمّ رقادي،
مثل نبتةٍ تتكاثر في الظلام.

حين تنهضين مفعمةً بالحياة، في غدٍ، ستكونين امرأة أخرى:
لكن شيئاً ما يتبقى من تخوم الليلة الضائعة،
وخارج ذلك الوجود واللاشيء سنتلاقى،

شيءٌ ما يشدّ أحدَنا إلى الآخر في ضوء الحياة،
كما لو أن مَيْسَمَ الظلمات
وسَمَ مخلوقاته السرّية بالنار.

84

مرة أخرى، يا حبيبتي، تنطفئ في شَرَك النهار
الأعمالُ، والعجلاتُ، والحرائقُ، والحشرجات، والوداعات،
ونحن نسلّم الليلَ الحنطةَ المتموجة
التي جمعتها الظهيرة من الضياء والتراب.

وحدَهُ القمر، وسط صفحته البيضاء،
يدعم أعمدة مرفأ السماء،
غرفة نومنا تتخذ شكل البطء الذهبي،
فيما يداك تشرعان في تهيئة الليلة.

أيها الحب، أيها الليل، يا قبّةً مسوّرةً بنهر
عصية مياهه على الاختراق، في ظلال السماء
التي تضيء وتُغرق قطوف أعنابها العاصفة،

إلى أن نغدو معاً محضَ فضاء حالك،
كأسَ قربان مترعة برماد إلهيّ،
قطرةً في خَفْقِ نهر طويل متمهل.

85

الضباب الغامض يدفق من البحر نحو الطرقات
مثل بخار أنفاس قطيع طَمَرَه الصقيع،
والألسنة المائية تتجمع، حاجبةً الشهر
الذي وعدتْ حياتُنا أن يكون بهيجاً.

يا خريفاً زاحفاً، يا قرص عسل صافراً في خضرة الأوراق،
حين تخفق راياتك فوق البلدات
تغني نساء مجنونات أغنية وداعٍ للأنهار،
وتصهل خيولٌ في اتجاه باتاغونيا.

كرمةٌ مسائية على محيّاك،
تعرّش على مهلها، يرفعها الحب عالياً
صوب قرقعة حدوات السماء.

أنحني على نار جسدك الليلي، ولا أتدلّه بنهديك
فحسب، بل بالخريف أيضاً، فقد نَثَر دمَه
اللازوردي خَلَل ذلك الضباب.

86

يا كوكبة صليب الجنوب، يا عبق البرسيم الفوسفوري،
تخلل، اليوم، جمالُك عبر قبلاتٍ أربع،
ومضى مخترقاً الظلالَ وقبعتي،
فيما راح القمر يتمّ مدارَه في الزمهرير.

ثم إنكِ تجلّيت -يا حبيبتي وغاليتي-
مثل ماساتِ البَرَد الأزرق، مثل سَكينة السماء،
مثل مِرآةٍ، وامتلأ الليل
بأقبية خمرك الأربعة المرتعشة

يا فضةً نابضة في سَمَكٍ خالصِ اللَمَعان،
يا صليباً أخضر، يا عشب الظلال المشعّة،
يا يراعةً محكوماً عليها بالسماء الكلّية:

اسكني فيّ، ولنغمضْ عينيك وعينيّ
للحظة واحدة، ونرقد مع ليل الإنسان.
أضيئي فيّ بروجك ذات الجهات الأربع.

87

ثلاثة طيور بحرية، ثلاثة شعاعات، ثلاثة مقصات
اجتازت السماء الباردة باتجاه انتوفاغاستا.
ذاك ما خلّى الهواءَ مرتعشاً،
وجعل كل شيء يرتجف كرايةٍ جريحة.

أيتها العزلة، إمنحيني علامة نشوءاتك المتواصلة،
السبيل الصعب للطيور القاسية،
الوجيب الذي، بلا ريب، يسبق
العسل والموسيقى، البحر والولادة.

(أيتها العزلة المسنودة بوجه ثابت -
مثل زهرة وانية، ممدودة بلا انقطاع -
كيما تطوّق حشود السماء النقية المتدافعة.)

أجنحة البحر الباردة، أجنحة الأرخبيل، عادت
طائرة صوب الرمال الشمالية الشرقية لتشيلي.
أما الليل فقد أرْتَجَ مِزلاجَه السماوي.

88

يعود آذار بضيائه المكتوم،
أسماكٌ هائلة تنسرب عبر السماوات،
أبخرةٌ أرضية غامضة تتقدم على مهل،
وتستسلم الأشياءُ كلها، واحداً بعد الآخر، للصمت.

في تقلبات الطقس التائه هذا، لحسن الحظ
أنك تَصِلين حيواتِ البحر بحيوات النار،
والتأرجحات الكئيبة لسفينة الشتاء
بالشكل الذي يخلّفه الحبُ على الجيتار.

أيها الحب، يا وردةً مُخضّلةً بعرائسِ بحرٍ وزبد،
يا ناراً تتراقص صاعدة أدراجاً خفية،
وتوقظ الدماء في أنفاق الأرق:

كيما يتسنى للأمواج استنفاد نفسها في السماء،
وكيما ينسى البحر متاعه وسباعه،
ويسقط العالم في الشِباك الشجية.

89

عندما أموت، أريد أن تضعي يديك على عينيّ:
أريد نورَ وقمحَ يديك المحبوبتين
أن يمرّرا عذوبتهما فوقي مرة أخرى:
أريد أن أحسّ بالنعومة التي غيّرتْ قَدَري.

أريدك أن تعيشي حياتك فيما أنتظرك أنا، نائماً.
أريد أن تظل أذناك قادرتين على سماع الريح، أريدك
أن تتنشقي عبير البحر الذي أحببناه معاً،
وأن تواصلي السير على الرمال التي مشينا عليها.

أريد ما أحببتُه أن يستمر في الحياة،
وأنتِ يا من أحببتُ وغنّيتُ أكثر من كل شيء
أريدك أن تواصلي الإزهار، بكامل تفتحك:

لكي تتمكني من بلوغ كل ما قادك حبي إليه،
لكي يتسنى لظلي الرحيل خلال شعرك،
لكي يستطيع كل شيء معرفة سبب أغنيتي.

90

حسبت أني أحتضر، وشعرت باقتراب البرودة
وعرفت أنني من كل حياتي ما تركتُ ورائي غيرك.
نهاري وليلي الأرضيان كانا فمَك،
وكان جلدك الجمهوريةَ التي أسّستُها قبلاتي.

في تلك اللحظة انتهت الكتب،
والصداقة، والكنوز المكدسة بقلق،
والمنزل الشفاف الذي شيّدناه أنت وأنا:
كل شيء تلاشى، ما عدا عيناك.

لأنه، بينما كانت الحياة تتاكدنا، كان الحب
محضَ موجةٍ أطول من كل الموجات،
ولكن آه، حين يأتي الموت ويَطرقُ الباب

فما ثَمّ سوى نظرتك لصدّ الخواء العميم،
سوى نورك لدحر الامّحاء،
سوى حبك لحجب الظلمات.

91

تغمرنا أعمارنا كما الرذاذ؛
الزمن متطاول وحزين؛
ريشة ملح تمسّ وجهك؛
سيل ماء واهٍ يتأكل قميصي.

لا يميز الزمن بين يديّ
وسربِ البرتقالات في يديك:
بالثلج والمعاول تحتُّ الحياةُ
حياتَك، التي هي حياتي.

حياتي، التي وهبتُها لك، تكتظ
بالسنوات، كعنقودٍ ثَرٍّ من الفاكهة.
ولسوف تعود الأعناب إلى الأرض.

وحتى هناك في الأسفل سيواصل
الزمن، منتظراً، ممطراً
على التراب، تواقاً ليمحو حتى الغيابَ ذاته.

92

حبيبتي، إن أنا متُّ ولم تموتي،
حبيبتي، إن أنتِ متِّ ولم أمتْ،
فلا نمنحنّ الأسى مجالاً أكبر.
ما من مدى أرحب مما نحن نحياه.

الغبار في القمح، والرمل في الصحارى،
والوقت، والماء الجوّال، والريح الغامضة
جرفتنا كلينا كما لو كنا بذوراً مُبحرة.
وكان يمكن أن لا يصادف أحدنا الآخر عبر الزمان.

الروضة هذه التي شهدتْ التقاءنا،
يا أبديتي الصغيرة! سوف نعيدها.
لكن هذا الحب، يا حبيبتي، لمّا ينته بعدُ:

ومثلما لَم يعرفْ ولادةً، فإنه لا
يعرف موتاً: إنه أشبه بنهر ممتد،
يبدّل الأراضي فقط، ويبدل الشفاه.

93

إنْ كفَّ، حيناً، صدرُك عن الخفقان، إنْ توقف شيء ما
عن الحركة، توقف عن الاضطرام في عروقك،
إن ندّ الصوتُ عن فمك وما استحال إلى كلمة،
إن نسيتْ يداك الطيران، وغطّتا في السبات،

ماتيلده، يا حبي، دعي شفتيك نصفَ منفرجتين،
فقبلة الختام تلك ينبغي أن تبقى معي،
وأن تظل ساكنة، أبداً، في فمك،
كيما تذهب معي، أيضاً، إلى موتي.

لسوف أموت وأنا أقبّل فمك المجنون البارد،
مملّساً براعم الفاكهة الشاردة على جسدك،
متطلعاً إلى ضوء عينيك المطبقتين.

وهكذا حين تستقبل الأرض عناقنا
سوف نرحل ممتزجين في موت مفرد،
ونحيا أبداً في لانهائيّةٍ قبلة.

94

أحييني، إن أمتّ، بتلك القوة الخالصة
التي بها تجعلين الشحوب والفتور يثوران؛
أطلقي برق عينيك الذي لا يُمحى من جنوب إلى جنوب،
من شمس إلى شمس، إلى أن يصدح فمُك كجيتار.

لا أريد لضحكتك أو خطواتك أن تترنح،
لا أريد لميراث روحي أن يموت،
لا تندهي في صدري: أنا لست هناك.
اسكني في غيابي كما لو كان بيتاً.

الغياب منزل بالغ الاتساع
يمكنك السير فيه عبر الجدران،
وتعليق الصور على الهواء العمودي.

الغياب منزل بالغ الشفافية
يمكنني رؤيتك فيه حتى لو كنتُ ميتاً،
وإمّا مَسّكِ سوءٌ، يا حبيبتي، فسوف أموت مرة ثانية.

95

من ذا الذي أحبّ قط كما أحببنا؟ فلنتقصَّ
الرمادَ الغابر للقلب المحترق،
ولنُساقطْ قبلاتنا واحدةً تلو الأخرى،
إلى أن تشطأ، ثانيةً، تلك الزهرةُ الخاوية.

فلنحبّ الحب، الذي استنفد ثمرتَه، وتداعى
بصورته وسلطته في التراب:
أنتِ وأنا الضياء الذي يبقى،
وشوكته المرهفة النهائية.

أعيدي إلى ذلك الحب، المطمور بالأوقات الباردة،
بالثلج والربيع، بالسهو والخريف،
ضوءَ تفاحة يافعة،

ضوء الطزاجة المتفتحة من جرح حديث،
مثل ذلك الحب العميق الذي بصمت
عَبَر أبدية شفاهٍ دفينة.

96

أحسب أن الزمن الذي أحببتني فيه
سوف ينقضي، ويخلفه زمن آخر كئيب؛
جلد آخر سوف يكسو العظام ذاتها؛
عيون أخرى سوف تشهد الربيع.

لا أحد من أولئك الذين حاولوا تقييد الوقت -
أولئك الذين تاجروا بالدخان،
البيروقراطيين، رجال الأعمال، العابرين - لا أحد منهم
سيمكنه مواصلة السير مضطرباً في حباله.

الآلهة القساة لابسو النظارات سوف يزولون،
أكلة اللحوم غزيرو الشعر مع كتبهم،
والبراغيث الصغيرة الخضراء وطيور ال Pitpit.

وحينما يعاد غسل الأرض من جديد،
عيون جديدة سوف تولد في المياه،
وسيُمرعُ القمحُ بلا دموع.

97

في هذه الأيام على المرء أن يطير - لكن إلى أين؟
بلا أجنحة، بلا طائرة، يطير واثقاً:
من دونما طائل تقدمتْ تلك الخطى،
فهي لم تحرك قدمَي المسافرِ قُدماً.

في كل لحظة على المرء أن يطير - مثل النسور،
مثل ذباب المنازل، مثل الأيام:
عليه أن يقهر حلقات زحل
ويبني صلصلة أجراسه مكانها.

النعال والطرقات لم تعد تكفي،
والأرض لم تعد تصلح للجوّال،
فالجذور قد تشابكت مع الليل،

ولسوف تظهرين أنت على كوكب آخر،
متزايلةً بعنادٍ،
ومتحولةً أخيراً إلى زهرة خشخاش.

98

ثم هذه الكلمة التي كَتَبَتْها الأيدي الألف
ليدٍ واحدة على هذه الورقة، ولا تمكث
داخلك، وما عادت تصلح للأحلام.
ها هي تسقط على الأرض، وتستأنف من هناك.

ما هَمّ إن انسكب الضياء، أو الثناء،
عن حافة الكأس،
ما دام ثمة ومضة عناد في النبيذ،
ما دام فمك مخضباً بالأرجوان كالقطيفة.

هذ الكلمة، لم تعد تريد مقطعها المنطوق ببطء،
أو ما تأتي به وتأخذه شُعَبُ البحر،
من ذكرياتي، الزبد المخضوض،

إنها تريد أن تكتب اسمك وحسب.
وحتى لو كان حبي الحاضنُ يكتمها الآن،
فما أقرب ما سيفشيها الربيع القادم.

99

أيام أخرى سوف تأتي، وسيكون صمتُ
النباتات والكواكب مفهوماً،
وستحدث أمور كثيرة أكثر نقاء!
وسيكون للكمنجات شذا القمر!

أما الخبز فلعله سيكون مثلك:
له صوتك، له قمحك،
وأشياء أخرى - خيول الخريف
الشاردة - بصوتك سوف تنطق.

وحتى لو لم يكن ذلك ما تُؤْثرينه، تماماً،
فإن الحب سيترع دناناً ضخمة
كعسل الرعاة المعتّق،

وهناك في غبار قلبي (حيث تُختزن
أشياء كثيرة مثمرة) سوف تمضين
جيئة وذهاباً بين ثمار البطيخ.

100

في مركز الأرض سوف أنحّي الزمردات
جانباً كي تتسنى لي رؤيتك
في هيئة كاتب، مشرِعةً قلم الماء،
ناسخةً ربيع النباتات الأخضر.

يا له من عالم! يا له من بقدونس داكن!
يا لها من سفينة تبحر في العذوبة!
وأنت ربما، وأنا ربما، حجرا توباز.
وسوف تنتهي نزاعات الأجراس.

لن يكون ثمة غير الهواء النقي كله،
والتفاحات المحمولة في الريح،
والكتاب المخضلّ في الغابات:

وهناك حيث تتنفس القرنفلات، سوف نشرع
في صنع ثياب لنا، تدوم ما يكفي
لعبور أبدية القبلة الظافرة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

إشارات

• ماتايلده Matilde: بدأ بابلو نيرودا إقامته مع ماتيلده أوروتيا، والتي ستصبح زوجته الثالثة، في العام 1955. بين عامي 1955-1957، وأثناء كتابته مائة سونيتة حب، كان نيرودا يعمل أيضاً على «قصائد غنائية أساسية»، وعلى «متطرف»، وعلى «أناشيد القبطان»، موجهة جميعها إلى ماتيلده. (امتنع عن نشر المجموعة الأخيرة لبعض الوقت، مراعاة لمشاعر ديليا ديل كاريل، زوجته لثمانية عشر عاماً، والتي انفصل عنها في أيلول 1955). توفيت ماتيلده في كانون الثاني عام 1985.

• طالطالة Taltal: بلدة صغيرة وميناء تقع خارج مدينة انتوفاغاستا.

• بوروا Boroa: صفة متأتية من «Boro» وهو اسم لقبيلة هندية من قبائل الأنكا البدائية، كانت لهم لغتهم ومناطقهم التي تضم أجزاء من البيرو الحديثة والبرازيل وكولومبيا.

• كوينكمالي Quinchimali: بلدة صغيرة على أطراف تشيلان، إلى الجنوب من سانتياغو، تشتهر مثل تشيلان بتربتها الصلصالية وفخارها الأسود.

• فرونتيرا Frontera: منطقة حدودية بركانية مغطاة بالثلوج، قضى فيها نيرودا شطراً من طفولته.

• أروكا Arauca: بلدة حدودية كثيرة الأمطار والعواصف، إلى الجنوب من تيموكو، نشأ فيها نيرودا.

• كويتراتو Quitratue: اسم يطلق على منطقة صغيرة اشتهرت ببراكينها، وهي الآن مغطاة بالجليد.

• تشيلان Chillan: مسقط رأس ماتيلدة، منطقة كثيرة الجبال والبراكين، إلى الجنوب من سانتياغو.

• ايسلانغرا Isla Negra: منذ العام 1939 أمضى نيرودا معظم وقته في ايسلانغرا، وسط تشيلي، في منزله المطل على البحر. وفي عام 1955 انتقل مع ماتيلده للإقامة في منزل بناه هناك.

• أنغول Angol: عاصمة مقاطعة ماليكو Malleco، جنوب تشيلان.

• ايكويك Iquique: مدينة صيد وسياحة إلى الشمال من تشيلي، تتمتع بشواطئ رملية بيضاء ساحرة، يمتد بعضها إلى بضعة أميال.

• ريو دولشي Rio Dolce: نهر في غواتيمالا، ويعني حرفياً: النهر العذب.

• اركيبيلاغو Archipelago: مجموعة كبيرة من الجزر الوحشية جنوب تيموكو.

• لوتا Lota: مقاطعة ومدينة تبعد خمسين ميلاً عن تشيلان، على شاطئ الباسيفيك، تشتهر بوفرة أعشابها البرية وبمناجم الفحم.

• كوتابوس Cotapos: موسيقار تشيلي، اشتهر بحكاياته ونوادره، كان صديقاً لنيرودا في سانتياغو.

• G.M.: اختصار لاسم الشاعرة غابرييلا ميسترال Gabriela Mistral، الحائزة على جائزة نوبل في الآداب عام 1945. كانت مديرة المدرسة المحلية في تيموكو، حيث كان يعيش نيرودا. أصبحا صديقين في وقت متأخر من عمريهما. توفيت ميسترال في كانون الثاني 1957، فيما كان نيرودا منكباً على كتابة هذه السونيتات.

• تمثال الجؤجؤ Figurehead: كان نيرودا شديد الولع بجمع التماثيل الرأسية للسفن القديمة. كان يقال إن أحدها، وكان يحتفظ به على الشاطئ خارج منزله، يبكي بدموع حقيقية كل شتاء. رأس آخر كان نيرودا يدعي أنه يشبه غابرييلا ميسترال.

• توكوبيللا Tocopilla: ميناء يقع في إحدى مقاطعات انتافاغاستا المقفرة. مركز لإنتاج النترات والتنقيب عن النحاس.

• دييغو ريفيرا Diego Rivera: رسام مكسيكي تعرف إليه نيرودا في الفترة التي كان يشغل فيها منصب قنصل تشيلي العام في المكسيك.

• تيموكا Temuca: مدينة أسسها في نهايات القرن التاسع عشر الهنود الأروكانيون.

• باتاغونيا Patagonia: منطقة مرتفعة شبه جافة، كثيرة الرياح، في أقاصي شمال القارة الأمريكية الجنوبية.

• كوكبة صليب الجنوب Southern Cross: تعتبر هذه الكوكبة المؤلفة من أربعة كواكب عالية علامة من علائم الشتاء في نصف الكرة الأرضية الجنوبي.

• انتوفاغاستا Antofagasta: مقاطعة صحراوية جبلية، تقع إلى شمال وسط تشيلي، وتتميز بتعرضها لأعلى تركيز شمسي بين بقاع الأرض كافة. والطيور المتجهة نحو انتافاغاستا إنما تطير شمالاً من أجل الشتاء.

مائة سوناتة حبّ

نيرودا الذي ظلمه المترجمون والنقاد العرب، حين وضع في نطاق سياسي مقفل، ثم أخرجته الحرب الباردة الثقافية من المتن الشعري الحداثوي، يبدو في قصائد الحب هذه، وكأنه وصل إلى ذروة الشعر، أي اللحظة التي يمتزج فيها الشعر بالحياة، فتصير القصيدة رغبة وليست ذاكرة رغبة، ويصير النص حقلاً من النار يخطف قارئه إلى الحلم الذي يصنعه الحب.

الجسد يمتد في الأحرف والكلمات، فالكلمات صارت كائنات حيّة، وصار العشق امتزاجاً للعقل بالحلم، حين يقبل العاشق أن يحترق بنار التجربة، ويواصل توغله فيها، تطلع الكلمات جديدة وكأنها حقل يشتعل بالقمح.

إلياس خوري

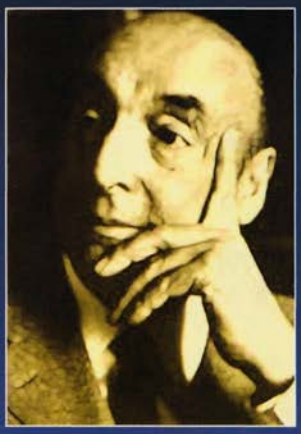

مكتبة
t.me/soramnqraa

دار كنعان
للدراسات والنشر
والخدمات الإعلامية